

أهمية الاتصال الشخصي

والتعايش الاجتماعي في المجتمع الحضري

أ. دحمان خلاص (*)

ملخص الدراسة

يشغل الاتصال الشخصي مكانة أساسية في ديناميكية العلاقات الاجتماعية وقد يكون من الخطأ الاعتقاد بأن دوره ينحصر في تلك العلاقات الشخصية التي تحدث بصفة عفوية بين شخص وشخص بغرض تحقيق هدف ذاتي فحسب، فهو يشكل عملية اجتماعية جوهرية في علاقة الفرد بالآخرين، وعلاقة الجماعة بالجماعات الأخرى أيضا. فلا يمكن للجماعة أن تعيش بدون اتصال وتفاعل وتأثير وتأثر، كما لا يمكن لوسائل الاتصال الجماهيري أن تحقق ذلك الإشباع من الحاجات الوجدانية للأفراد كأفراد وبوصفهم أعضاء في جماعة. فالانتماء والهوية والتآلف والتماسك فيما بين الأفراد وتلقين القيم والمعايير، والعيش داخل الجماعة لا يمكن أن يتحقق خارج ذلك الاحتكاك والتفاعل المباشر في سياق علاقات الأخذ والعطاء والحوار والمشاركة في المعاني والمشاعر والأفكار بأساليب المحاكاة الرمزية وجها لوجه (كاللفظ والإشارة، الإيماءة، المظهر واللباس...).

وإذ يؤدي الاتصال الشخصي دوراً جوهرياً في بناء علاقات اجتماعية تقوم على التعايش الاجتماعي كحتمية فرضتها الحاجة إلى استمرار الجماعات المختلفة في العيش معا بتلك الاختلافات، فإن الغرض من هذه الدراسة هو إظهار المكانة التي يشغلها التعايش الاجتماعي كأساس للحياة التي يتقاسمها الأفراد والجماعات في المجتمع الحضري خاصة، باختلاف انتماءاتهم وتوجهاتهم الفكرية والعقائدية والإيديولوجية، ومرجعياتهم العرقية والطائفية والمذهبية؛ سواء اجتمع بعضهم أو جلتها في الوسط الذي نتقاسمه. ولقد دعت ضرورة اجتماع الناس في المدينة وتقاسم الأدوار والمراكز داخل هذا الحيز الجغرافي المركب والمعقد نظراً لخصوصيات وميزات العيش فيه، إلى إيجاد صيغ من التوافق الاجتماعي وقبول الآخر لضمان الحد الأدنى من تقاسم العيش معاً، والاعتراف بوجود الآخرين وبتمايزهم، ليكون ذلك التمايز عامل تقارب وتعاون وتضامن، ودافعا لتحقيق الحاجات المشتركة، وتلافي مسببات التنافر والصراع التي قد تهدد تلك الطمأنينة المرجوة لاستمرار الحياة في المدينة.

الكلمات المفتاحية : الاتصال - التعايش - الحوار - المدينة - التكيف - الكره - التعصب - العنف - الاستعمار.

* طالب دكتوراه، جامعة الجزائر 3 دالي ابراهيم، كلية علوم الإعلام والاتصال

Abstract :

Inter-personal communication has an important role in the dynamism of social relations, and it would be wrong to believe that it is limited to those personal relationships that occur spontaneously between two persons to achieve a self-goal purpose. It is a fundamental social process in the individual's relationship with others, and the relationship between different groups of individuals. These groups cannot live without Communication, interaction and affection.

Belonging , identity , harmony, cohesion among individuals, teaching the values and standards, and to live within the group require friction and direct interaction in the context of giving and taking, dialogue and participation; in meanings , feelings and ideas using face to face symbolic mimicry (such as talking, reference, gesture, appearance and dress ...).

Interpersonal communication plays an essential role in the construction of social relations based on social coexistence inevitability imposed by the need of the different groups to continue to live together with those differences. So the purpose of this study is to show the position occupied by the social coexistence as the basis of life shared by individuals and groups with different affiliations, intellectual orientations, ideology, and ethnic and sectarian references, particularly in the urban community where we share some or most of these differences.

the need for people gathering in the city and the sharing of roles and positions within the compound and complex geographical area because of its peculiarities and life features has called for finding formulas of social harmony and mutual acceptance to ensure a minimum of shared life and to recognize the existence of others and their differentiation to us, so that this differentiation could be a factor of convergence , cooperation , solidarity , and a motivation to achieve common needs, and to avoid the causes of disharmony and conflict that might threaten the desired tranquility to sustain life in the city ,

مقدمة

شغلت المدينة اهتمام كثير من العلماء والفلاسفة والباحثين منذ عشرات القرون وما تزال تشكل صلب الدراسات السوسولوجية والأنثروبولوجية ومختلف الاتجاهات العلمية الأخرى. ويبرز ذلك التوجُّه نحو المدينة بما لها من أهمية دلت عليها الحضارات التي تعاقبت عليها والصراعات والحروب والثورات والنكسات، التي قامت أو حدثت فيها، والتَّهافتُ المستمر عبر التاريخ نحوها في حالات السلم والحرب. لتكون المدينة بذلك محل شد وجذب دائم بين الأفراد والجماعات باختلاف أهدافهم وتوجهاتهم ودوافع وجودهم فيها، وباختلاف أعراقهم وأجناسهم، وانتماءاتهم أيضاً. وقد يُقاس تقدُّم الأمم وازدهارها أو تأخرها، من حال مدائنها ونظم حياتها وأنماط العلاقات القائمة بين الأفراد والجماعات فيها، ومدى تعايشهم وتسامحهم وقبولهم بتقاسم ظروف الحياة بينهم وفق مبدأ الاعتراف بالآخر وبحقه الطبيعي بأن يكون مختلفاً أيضاً. وبما أن الإنسان اجتماعي بطبعه فإن اتصاله الإنساني أمر تفرضه هذه الطبيعة، فليجأ إلى إنشاء علاقات وتطوُّرها، وتتخذ هذه العلاقات أشكالاً وأساليب متعددة. فأحياناً يَبْنِيها على التضامن والتعاون، والتَّواصل والانسجام، وأحياناً أخرى على القوة والقهر، والعدوان والتنافر. ووفق هذه الديناميكية في العلاقات أيضاً يُمكن قياس مدى تحقيق التعايش الاجتماعي في المدينة من عدمه.

إشكالية الدراسة :

شكل الاتصال الشخصي (الإنساني) وما يزال ؛ قاعدة أساسية لاستمرار الحياة وتخطي شدائدها وأزماتها، محفزاً لتطورها، ودافعاً للنشاط الاجتماعي والإنساني، حيث ينتقل بالأفراد والجماعات من ذلك التعبير الغريزي عن الحاجات إلى الوعي بأهمية الذات والآخر في التعاون والاتفاق والتبادل في الأفكار والخبرات والوسائل التي تمكنهم معاً من تحقيق التكامل في الحاجات والمنافع والمصالح، والتعبير عن العواطف والميول والاتجاهات والقبول بالاختلافات، والعيش معاً على أساس التشارك والتضامن والمساواة الاجتماعية.

وإذا كان الاتصال الشخصي أداة لتحقيق الترابط والتماسك الاجتماعي؛ فإنه يتعدى ليكون حلاً لكثير من مشكلات الإنسان، بما يوفره من وعي يُدِّد ما يعترى الفرد من جهل بكثير من الأمور المتعلقة بذاته وبالآخرين، وبالحيط الذي يعيش فيه، ويحقق التفاهم والتوافق الاجتماعي، ومن ثَمَّ فإنه يقوي أواصر التقارب والتآلف بين الأفراد والجماعات، بما يُتيح من تفاعل ينطوي على رؤية عميقة للحياة ومتطلباتها.

قد يبدو هناك كثيرٌ من أوجه التلاقى بين الأسس التي يقوم عليها الاتصال الشخصي، وتلك المتصلة بمفهوم التعايش الاجتماعي، بل قد يميل الاعتقاد إلى اعتبار الاتصال الشخصي بكلِّ ما يقتضيه من أسس ومبادئ ؛ شكلا من أشكال التعايش الاجتماعي، ذلك أنه يقوم على منظومة من القيم الإنسانية والاجتماعية والمعايير الأخلاقية والسلوك، التي يجد فيها التعايش حلا لكثير من المعضلات والمشاكل التي يستعصى حلُّها خارج نطاق الاتصال الشخصي.

فكيف يمكن صياغة العلاقة بين الاتصال الشخصي والتعايش الاجتماعي في المجتمع الحضري (المدينة) ؟ وما طبيعة تلك العلاقة ؟

ولإجابة عن هذه الإشكالية ارتأينا تناول الموضوع من خلال المحاور التالية:

- مفهوم الاتصال الشخصي ووظائفه.
- مفهوم التفاعل الاجتماعي وأهدافه.
- مفهوم التعايش الاجتماعي ومجالاته في المدينة.
- أسس التعايش الاجتماعي في المجتمع الحضري (المدينة)
- عوائق التعايش الاجتماعي في المجتمع الحضري (المدينة)
- خاتمة

من ناحية أخرى تركز الدراسة على فرضية رئيسية مفادها؛ وجود علاقة طردية بين الاتصال الشخصي والتعايش الاجتماعي، فكلُّما أحدث الاتصال الشخصي تفاعلا إيجابيا في العلاقات الاجتماعية كلُّما قلَّص من مسببات اللاتعايش والصراع والتنافر، وكلُّما غاب الاتصال الشخصي أو تسبَّب في إحداث تفاعل اجتماعي سلبي (كالصراع والصدام أو الثورة) كلُّما قلَّت فرص التعايش الاجتماعي.

منهج الدراسة :

يميل اتجاه هذه الدراسة إلى الاستعانة بخصائص المنهج الوصفي حيث يقوم على أساس تحديد خصائص الظاهرة العلمية المدروسة، ووصف طبيعتها ونوع العلاقة التي تربط بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها. ويعتبر بعض الباحثين بأن المنهج الوصفي يشمل كافة المناهج الأخرى باستثناء المنهجين التاريخي والتجريبي لأن عملية الوصف والتحليل للظواهر تكاد تكون مسألة مشتركة وموجودة في كافة أنواع البحوث العلمية. ويعتمد المنهج الوصفي على تفسير

الوضع القائم، وتحديد الظروف والعلاقات الموجودة بين المتغيرات. وهنا تميل الدراسة إلى نمط دراسة العلاقات المتبادلة والدراسات الارتباطية؛ إذ يتعدى مجرد الوصف إلى التحليل والربط والتفسير واستخلاص النتائج، أي؛ تعقب العلاقات بين الحقائق وعدم الاكتفاء بجمع المعلومات عن الوضع القائم.⁽¹⁾ وتكمن أهمية هذا الاتجاه إلى ملائمة هذا المنهج لدراسة إشكالية التعايش الاجتماعي ومدى وجود القواسم المشتركة بينه وبين الاتصال الشخصي كحامل لمفردات العلاقات الاجتماعية التي يتحدد وفقها مستوى التعايش الاجتماعي في المدينة، بالاستخدام الموضوعي لأدوات وتقنيات البحث العلمي.

تحديد بعض المفاهيم:

(1) التعايش (coexistence): تحمل الدلالة اللغوية للتعايش معاني الألفة والمودة وقبول العيش مع الآخر. والعيش معناه الحياة. "مُحْتَمَعٌ طَائِفِيٌّ يَعِيشُ أَهْلُهُ فِي تَعَايُشٍ وَوَرَامٍ: يَعْيشُونَ فِي تَسَاكُنٍ وَتَوَافُقٍ ذَا حِلٍّ الْمُجْتَمَعُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ اخْتِلَافِهِمُ الدِّينِيَّ وَالْمَذْهَبِيَّ".⁽²⁾ كما ورد في المعجم الوسيط أن كلمة "تعايش" مشتقة من فعل "تعايش" فنقول تعايشوا على المودة ومنه التعايش السلمي، والعيش معناه الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب.⁽³⁾

(2) التفاعل الاجتماعي: يدل التفاعل على سلسلة من المؤثرات والاستجابات ينتج عنها تغيير في سلوك الأفراد عما كانوا عليه من قبل. والتفاعل لا يؤثر في الأفراد فقط بل قد يعدل أو يطور سلوك كل الأطراف الذين يدخلون فيه، أفرادا وجماعات، وكذا قادة الجماعات والمشرفون على البرامج، حيث يؤدي ذلك إلى تعديل طريقة عملهم مع تحسين سلوكهم تبعاً للاستجابات التي يستجيب لها الأفراد.⁽⁴⁾

والتفاعل سلوك ظاهر لأنه يتضمن التعبير اللفظي والحركات والإيماءات،، وهو سلوك باطن لأنه يتضمن العمليات العقلية الأساسية كالإدراك والتذكر والتفكير والتخيل. كما يؤدي إلى مجموعة من التوقعات لدى كل المشتركين فيه.⁽⁵⁾

المحور الأول. مفهوم الاتصال الشخصي:

(1) التعريف والمعنى: الاتصال الشخصي؛ ويطلق عليه أيضا الاتصال وجهاً لوجه (المواجهي)، الاتصال المباشر، الاتصال الإنساني، كما يسمى الاتصال بين- شخصي ويقابله باللغة الإنجليزية (inter personal communication).

مثلاً يدل عليه الاصطلاح العام وتناوله كثير من المختصين، فإن الاتصال الشخصي هو "ذلك الاتصال الذي يحدث بين فردين (غالباً عن طريق الرموز اللغوية) في إطار وضعيات اجتماعية

مختلفة في إطار عالم الحياة اليومية".⁽⁶⁾ وإذا يبدو هذا التعريف عاما فقد فصل فيه البعض باعتباره "العملية التي يتبادل خلالها الأفراد رسائل شخصية وجسدية وتساهم في استحداث وبناء علاقات بينهم سلبا أو إيجابا، أي يتم بين مرسل ومستقبل وجهها لوجه دون استخدام وسائل الاتصال الجماهيري".⁽⁷⁾ فهو اتصال يحدث بين فرد وفرد أو بين فرد ومجموعة من الأفراد، أو ضمن جماعة من الأفراد، بصفة مباشرة وجهها لوجه حيث يتم تبادل المعلومات والأفكار والأشبار والعواطف والمعاني وغير ذلك من الرسائل خلال عملية الاتصال باستعمال الرموز اللفظية (اللغة- المنطوق- الصوت) وغير اللفظية (الإشارة-الإيماءة- الحواس). وتجري عملية الاتصال في مكان واحد وزمن واحد أيضا حيث يكون هناك فعل Action ورد فعل Reaction أي (تفاعل) Interaction. ويتيح الاتصال الشخصي الفرصة لطرفي الاتصال بمشاركة متبادلة Participation تسمح للمرسل بمعرفة رجوع الصدى (التغذية المرتدة) Feed back وللمتلقي بمعرفة الغرض من الاتصال Intention، كما يمكن توقع استجابة معينة خلال عملية الاتصال حسب طبيعة العلاقة الموجودة بين الطرفين أو تلك التي تنشأ من عملية الاتصال.⁽⁸⁾

ولقد تناولت الدراسات مفهوم الاتصال الشخصي من عدة جوانب وتقاطعت المفاهيم والاصطلاحات حول صيغه وأدواته من حيث الشكل والبناء. وإذا لا يسع التفصيل كثيرا في هذا الجانب فإننا نكتفي بهذا التحليل للباحثين كيث وليامسن ودينيس سميث Williamson & Dennis R. Smith Keith⁽⁹⁾ حول المعنى الاصطلاحي لعناصر مفهوم اتصال شخصي (Inter-personal communication) فكلمة (Inter) تعني "بين" أي أن الاتصال يحدث بين الأفراد، ولكي يحدث هذا الاتصال لابد من توفر وحدة اجتماعية معينة، وأصغر وحدة هنا هي فردان اصطلاح عليهما الباحثان (Dyad) حيث يمثلان موقفا اجتماعيا، أما كلمة (Person) فهي مشتقة من الاصطلاح اللاتيني (Persona) ومعناها قناع أو (Mask) ويرمي هذا البعد الاصطلاحي إلى التعبير عن الدور أو الأدوار التي يمكن للشخص (الفرد) (Person أو Persona) أن يقوم بها سواء بالمعنى الاجتماعي أو بالمعنى الذاتي (أي الفرد ككيان بذاته وما يتميز به من انفعالات سيكولوجية نفسية أو كدور وظيفي اجتماعي) خلال أي موقف من المواقف الاجتماعية التي يتقمصها عادة من خلال الوظائف الاجتماعية التي يؤديها داخل المجتمع ويُترجمها وفق السلوك المرتبط بتلك الوظائف.⁽⁹⁾ فمن حيث المعنى الاجتماعي الوظيفي يمكن للشخص الواحد أن يقوم مثلا بدور المدير وبدور الأب ورئيس فرقة بحث ويمكن أن تكون المرأة أمًا وتقوم بدورها إلى جانب دور المربية أو الأستاذة أو الطبيبة، والبنات قد تؤدي دور الابنة وقد تكون راقصة باليه أو طالبة وصديقة لعدد من البنات، وهكذا.

(2) عناصر الاتصال الشخصي: من خلال ما تقدم يمكن تحديد عناصر الاتصال الشخصي (وجها لوجه) كما يلي: ⁽¹⁰⁾

(أ) المتصل (القائم بالاتصال) (Communicator): هو الشخص الذي يقوم بفعل الاتصال حيث يبادر بتوجيه رسالة تحمل مضامين معينة بواسطة رموز إلى المتلقي أو المتلقين وبطريقة مباشرة ، وفي الزمان والمكان المحددين ويمكن أن يكون المتصل شخصا واحدا عاديا، أو شخصا يحمل صفة اجتماعية معينة، أو أكثر من شخص كما في الاتصال الشخصي المنظم.

(ب) الرسالة (Message): هي مجموعة من المعلومات والأفكار والآراء والمشاعر والمعاني والاتجاهات؛ التي يريد المتصل أن يوجهها أو ينقلها عبر الرموز بهدف الحصول على إجابة معينة أو استجابة أو تفاعل أو اشتراك أو تفاهم حول موضوع هذه الرسالة أو تقاسم معانيها مع المتلقي.

(ج) المتلقي (المستقبل) (Receiver): وهو الفرد أو مجموعة الأفراد الذين يتلقون رسالة معينة مباشرة من المتصل وجها لوجه وبدون واسطة تقنية وقد يكون المتلقي شخصا عاديا كما هو الحال في الاتصالات الشخصية اليومية التي تحدث بين الناس في كل وقت وفي كل مكان، أو كإن يكون فردا من أفراد الأسرة الواحدة ، أو جماعة مهنية... الخ. والميزة المهمة في المتلقي هنا هي أنه خلال عملية الاتصال يكون تارة مستقبلا وأخرى مرسلا، لأن عملية الاتصال الشخصي تتميز بأنها فعل و رد فعل (تفاعل).

(د) الوسيلة (الواسطة) (Medium): وتعني القناة التي يتم من خلالها نقل رسالة المتصل إلى المتلقي (المستقبل) وهي تمثل مجموعة الرموز اللفظية (اللغة والمفردات الكلامية - الصوت) وغير اللفظية (الإشارات والحركات الجسدية- الإيماءات - الحواس) التي يستعملها المتصل لنقل وتوصيل وشرح وتوضيح المعاني والأفكار والمشاعر وما إلى ذلك، والتي تشكل الرسالة وذلك بغرض تلقي رد معين من المتلقي .

(هـ) الهدف (الغرض) (Target): هي النتيجة التي يطمح المتصل الوصول إليها وكذلك المتلقي خلال عملية الاتصال والتفاعل. فالمتصل يتوقع نتيجة معينة من خلال قيامه بالاتصال قد تتحقق كما يتوقعها وقد تتطلب تعديلا أو تغييرا، حسب نمو الرجوع الذي تتركه رسالته لدى المتلقي الذي بدوره قد يكون له غرض من الرد، وقد يتجاوب بسرعة أو يطلب تعديلا أو توضيحا، حسب ما يتوافق وميوله أو اتجاهاته أو مواقفه، أو مشاعره وعواطفه.

(و) الأثر الاتصالي (Effect) : وهو النتيجة النهائية التي تتركها عملية الاتصال إما فور انتهاء عملية الاتصال كأن يتحقق توافق ورضا طرفي الاتصال حول أمر ما فيحس كلاهما بالسعادة والطمأنينة فتتولد مشاعر الاحترام والمودة أو تندعم، أو كأن يختلف الطرفان ويتخاصمان فيشعران بالغضب والقلق وتتولد مشاعر النفور أو العداوة، أو يتواعدان بقاء آخر لتحقيق أو إنهاء أمر أو تسوية مشكل ما. وقد يحدث أثر بعيد المدى كأن يحقق أحد طرفي الاتصال منفعة علمية أو تربوية، أو يكتسب تجربة وخبرة معينة، أو تنشأ بين الطرفين صداقة جديدة. فيكون بذلك الأثر محصلة عملية الاتصال.

(ز) الرجع (التغذية المرتدة) (Feed back) : ويسمى أيضا الاسترجاع الذي يجيب به المتلقي عن رسالة المتصل ويعكس مدى تفاعله وفهمه وقبوله لمضمون الرسالة أو رفضه لها أو طلبه مزيدا من التوضيح والشرح والتفصيل. وهو أيضا الرد الذي يتوقعه المتصل وينتظره من المتلقي أثناء توجيه رسالته له. وفي حال الاتصال الشخصي يحدث الرجوع بواسطة الرموز اللفظية وغير اللفظية ويكون الرد آنياً ومباشراً، مما يمنح المتصل فرصاً إضافية لإعادة صياغة ومراجعة رسالته حتى يحقق النتيجة أو الغاية التي يريدتها من عملية الاتصال.

(ح) السياق (بيئة الاتصال الشخصي) (Context) : ويقصد به البيئة المحيطة التي تحدث فيها عملية الاتصال، وهناك ثلاثة عوامل يتأثر بها الاتصال في هذا السياق كما حددها الباحث الدكتور عبد الرحيم درويش في كتابه (مقدمة إلى علم الاتصال) وهي: (11)

- ✓ المحيط الفيسيولوجي لبيئة الاتصال ومكان حدوث الاتصال.
- ✓ الوضع الاتصالي أو مستوى عملية الاتصال وتعني عدد المشتركين في الاتصال ونوع العلاقة بينهم، وطبيعة التفاعل بينهم.
- ✓ الثقافة ويقصد بها طريقة حياة أي فئة أو شعب؛ أي المشترك الثقافي والمعرفي والتقاليد والعادات السائدة التي تؤثر على مستوى الاتصال وطبيعة التفاعل.

ميزة الاتصال الشخصي أنه غير محكم البناء أي بمعنى لا يخضع لضوابط دقيقة فعملية الاتصال تحدث بطرق متنوعة فتستخدم الأساليب اللغوية المختلفة حسب الظرف والأشخاص (لغة-عامية- وسطى) وقد ترفق بلغة الإشارات حسب الموقف والأشخاص والبيئة الاتصالية. لذلك فإنه يتميز بالمرونة والتلقائية والعفوية.

(ط) التشويش (Noise) : يمثل عنصر التشويش، تلك المشاكل والعوائق التي تعترض كلاً من القائم بالاتصال والمتلقي فتؤثر على فعالية الرسالة ومستوى التوصيل ورد الفعل. وفي

الاتصال الشخصي يتلخص عنصر التشويش في الغموض والضعف والخلل الذي قد يصاحب الرموز اللفظية وغير اللفظية باعتبارها القناة والوسيلة التي تنقل الرسالة بين المتصل والمتلقي. كما يمكن لعنصر التشويش أن يحدث على مستوى القائم بالاتصال أو المتلقي كأن يصرف المتلقي انتباهه أو كأن يكون حديث المتصل غير مسموع، ويصطلح البعض على ذلك بـ "عدم التيقن أو الأنثروي" (12) كما يتعلق بالضجيج أو صوت الآلة، أو الرياح، أو أي شيء مسموع أو متحرك يعطل عملية الاتصال.

3) أنواع الاتصال الشخصي : ويقصد بها الاتجاهات المختلفة التي يحدث فيها الاتصال بين طرفي عملية الاتصال. وتتلخص فيما يلي: (13)

أ) اتصال هابط : ويخص اتصال المسؤول أو الرئيس أو القائد بالمرؤوسين أو التابعين ويحدث من أعلى نحو الأسفل كإصدار قرارات أو تعليمات إلى من هم تحت الإشراف دون معرفة

آراء ومواقف هؤلاء أو انتظار اقتراحات أو مناقشة القرارات. ويمثل هذا النمط من الاتصال أحد عوائق الاتصال الفعلي في التنظيم الرسمي.

ب) اتصال صاعد : وهو عكس النمط الأول، حيث في هذه الحالة يتقدم المرؤوسون باقتراحات أو مواقف أو شكاوى معينة للرؤساء والمسؤولين غالبا ما تكون كتابية وفي اتجاه واحد حيث لا يحقق أيضا تفاعلا مباشرا.

ج) صاعد هابط (في اتجاهين) : وهو بعكس النمطين الأولين حيث يحقق الاتصال ذلك التفاعل الذي يسمح للمسؤول والمرؤوسين من التفاعل المباشر، إذ يُتيح الرئيس أو المشرف لجماعته أن تناقش المقترحات والأفكار أو القرارات قبل تنفيذها وقد تُعدل بعض المقترحات أو يتم إثراؤها، وهي تعكس ذلك التفاعل الديمقراطي الذي يتيح المشاركة فيما تقوم به المؤسسة مثلا من أعمال.

د) اتصال غير رسمي : يمثل هذا النمط من الاتصال في التنظيم الرسمي تلك الأحاديث وذلك الاحتكاك والتفاعل غير الرسمي بين الزملاء في التنظيم الرسمي، كأن يتقاسم هؤلاء وأولئك بعض المهوم والمشاكل المتعلقة بالتنظيم أو ظروف حياتهم بعيدا عن جو العمل وقيوده. و هذا التفاعل لا يلتزم بقبود العلاقة التنظيمية فطابع العلاقة يكون شخصيا وقد يتحول إلى علاقة مستمرة كالعلاقات لتمتد خارج التنظيم. ويحرص المسؤول على أن لا تُخل مثل هذه الاتصالات بالالتزامات والواجبات داخل التنظيم.

هـ) اتصال أفقي : يتم بين أفراد أو جماعات من مستوى واحد مثل اجتماع أساتذة للمداولات أو اجتماع أعضاء إدارة لمناقشة إجراءات تنظيمية جديدة ، أو طلبة بعضهم ببعض، أو غير ذلك من اللقاءات المتكافئة، حيث غالبا ما يكون التفاعل سلسا وتلقائيا ويتسم بالبساطة.

المحور الثاني. وظائف الاتصال الشخصي في العلاقات الاجتماعية.

يعتبر الاتصال الشخصي عملية حيوية في الحياة الاجتماعية فقد عمل عبر مسيرة الإنسانية على جمع شمل الناس وتقاربهم وتعاضدهم واتحادهم من أجل التعايش مع الطبيعة أولا، ومن ثم من أجل الاستمرار والبقاء. ولعل أول وظيفة هي التفاعل الاجتماعي كأول خطوة ناجحة للاحتكاك بالآخر ومحاولة فهمه عبر التردد أحيانا والرفض أخرى، والاستجابة كنتيجة حتمية قرّرها الحاجة الاجتماعية والنفسية والبيولوجية للبشرية كمخلوقات تجتمع بطبيعتها. ويدل هذا المعنى على أنّ التفاعل سلوك إنساني قبل كل شيء، فهو يتحقق بفضل الاتصال والاحتكاك المباشر فهو محصلة تبادل الأفراد الاتجاهات والمعاني والخبرات عبر الرموز بفرض إنجاز أهداف اجتماعية معينة كالاعتراف، التقارب، الانتماء، التقدير، النجاح والزواج وبناء أسرة، وهكذا.

يمكن استخلاص أهم الوظائف التي يؤديها هذا النمط الإنساني الحيوي كما يلي :

1-الجمع بين الأفراد وتشكيل الجماعة : وهي أقدم وظيفة عبر التاريخ وما تزال برغم التطور التكنولوجي الكبير والخطير الذي أصبح يهدّد العلاقات الاجتماعية بالتراجع والضعف. فرحلة البحث عن الآخر وظيفة مستمرة للاتصال الشخصي من أجل إشباع الحاجات وتكاثر النسل، التعارف والتعاون. والأسرة نواة تشكيل الجماعة، وبقيت تحافظ على هذه المكانة وتدافع عنها برغم تأثير التطور الاجتماعي الذي أنتج نماذج جديدة للعلاقات الأسرية تفرج أحيانا عن الأعراف. فالأسرة هي أقوى رابطة اتصالية يتفاعل فيها الأفراد وترتبط بينهم مشاعر الحب والمودة والتراحم والتضامن. فرابطة الأمومة والأبوة والأخوة خصائص يعزّز ميثاقها الاتصال الشخصي.

2- الوظيفة التربوية والتوجيهية : تنطلق التربية من الأسرة وتبدأ بالرعاية اللازمة للأطفال وتقديم المأكل والمشرب والحنان والحب والحماية، ومن ثم تتطور هذه الرعاية إلى التدريب اللغوي وتنمية مدارك الصغار لبناء شخصيتهم وتزويدهم بالخبرات والمعارف والأخلاق والقيم، وما إلى ذلك من المدارك التي تنبني عليها تربية الطفل. وتتطور التربية لتشمل توجيه السلوك وتعديله أو تغييره أو تثبيته بحسب ما تتلاءم وسلوك الجماعة والقيم التي تحكمها.

وتسمى هذه المرحلة بالتنشئة الاجتماعية (التطبيع الاجتماعي) فالإتصال الشخصي هو حامل كل تلك المفردات والسلوك والاتجاهات التي تحدث في الوسط العائلي.

3- الوظيفة التعليمية والمعرفية : يقوم الإتصال المدرسي بدور تكميلي هام لما يتلقاه الطفل في الوسط العائلي فالإتصال بين التلاميذ والاحتكاك المستمر والتفاعل ينمي قدراتهم على اكتشاف أنفسهم والآخرين ويقدم لهم تجربة جديدة لمعرفة العالم الخارجي وإجراء المقارنات بين عالم الأسرة وعالم الأقران والزملاء. ومن خلال الوسط المدرسي فإن البرامج البيداغوجية التعليمية والتدريبات المختلفة تنمي القدرات الذهنية واللغوية للصغار وتساعدهم على التحصيل العلمي وتكسيهم مهارات جديدة تمكنهم من النمو والتطور في تناغم مع المحيط الذي يعيشون فيه. ويقوم الأستاذ مقام الأولياء من جهة بتلقين التلميذ مفاهيم قيمية وثقافية تصقل مدركاته الذهنية وتنمي خبرته الذاتية عن نفسه وعن الآخرين، كما يمدّه بمختلف المفاهيم العلمية والمعرفية التي تؤهله فيما بعد للعب دور اجتماعي ضمن الجماعات التي ينتمي إليها.

4- الوظيفة الاجتماعية : إن الاحتكاك بالآخرين وتقاسم الأدوار الاجتماعية معهم والتعايش المشترك بين الأفراد يُكسيهم معارف وخبرات واتجاهات جديدة إلى تلك التي في محصلتهم التربوية والأسرية. فالإتصال البشري يدفع النشاط الاجتماعي، ويعمل على إحداث التغييرات الثقافية والاجتماعية حيث ينتقل بالأفراد من التعبير الغريزي إلى الإلهام بما ينشئ اتفاقاً عاماً بين الأفكار، ويؤكد الشعور بأنّ الناس يعيشون مع بعضهم البعض من خلال تبادل الرسائل وترجمة الفكر إلى عمل، تعبيراً عن العواطف والحاجات، من أبسط المهام التي تكفل بناء الإنسان، حتى أسمى مظاهر الإبداع أو أشد مظاهر التدبير.⁽¹⁴⁾ كما أنّه يشكّل المحور الذي تدور حوله مختلف العمليات الاجتماعية ؛ كالإرشاد، التثقيف والتدريب، التعليم والإدارة والخدمة الاجتماعية. فتوضيح وتفسير الحقائق للناس ؛ إرشاد. وتحسين معلومات الأفراد وتطوير معارفه؛ تثقيف، وتلقين المهارات؛ تدريب، والفرجة والترويح النفسي والراحة؛ ترفيه، ومساعدة الناس على فهم ظروفهم ومشاكلهم أو علاجهم الصحي والنفسي ؛ خدمة اجتماعية وإنسانية، وحسن سير العمل والأداء ودعم التفاهم والانسجام بين العاملين وما إلى ذلك من الأداءات والوظائف ؛ إدارة وتسيير، وهكذا.

5 - الإتصال الشخصي بوابة التواصل الاجتماعي : يفتح الإتصال الشخصي لأفراد المجتمع آفاقاً رحبة من التواصل والتوافق والتضامن عندما يقوم على أسسه الصحيحة فيتفاعل الناس بإيجابية مع الحياة وما يعترضها من تطورات سريعة وتغيرات متلاحقة وأوضاع متقلبة وحركية مستمرة، ذلك أنّه يستوعب مضامين إنسانية ليس بمقدور أي نمط آخر أن يستوعبها بالقدر الذي يحقق التوافق والانسجام والسكينة والأمان. وتمثّل تلك المضامين فيما يلي :

1) التقارب النفسي والروحي : حياة الإنسان لا تخلو من التوتر والضغط والمشاكل التي تواجهه خلال أدائه لمختلف الأدوار، سواء بصفة فردية، أو تلك التي يتقاسمها مع الجماعة في الوسط الأسري أو خارج مجال البيت. فيكون الإنسان عرضة لكبوات وعثرات، أو تنوبه نائبة فيحتاج بعدها إلى من يتضامن معه نفسياً، وإلى من يقترب منه روحياً، ليخفف عنه الآلام ويرفع من معنوياته، أو إلى من يستشيريه ليستفيد من رأيه السديد أو حكمته الشافية. فيعمل الاتصال هنا على بث المسرة ونزع الغم والهم، وزرع السكينة في قلب الإنسان.⁽¹⁵⁾

2) التعاون في تيسير شؤون الحياة : لا يستطيع الإنسان بمفرده أن يحل جميع المشاكل التي تعترض أدائه لمختلف الأدوار التي يقوم بها، فهو يحتاج إلى تعاون الآخرين معه. فتكوين أسرة مثلاً يحتاج إلى اتصال زواجي، ويقتضي بناء هذه الأسرة والحفاظ على استقرارها تعاون الزوجين والالتزام بالأدوار لتربية الأبناء وتنشئتهم. ويحتاج الأخ لأخيه يعينه على قضاء حاجة ليس في مقدوره تحقيقها بمفرده. والتعاون يشكل قوة أمام الخطر. فإذا كان بالإمكان كسر عود فلا يمكن أن تتأثر الحزمة إذا كانت بمجموعة عيائها. وكذلك تكون الجماعات ؛ فاجتماعها يقتضي تناغم أدوارها كي لا تميل حياتها إلى الفوضى، أو يكون سلوكها كسلوك باقي الكائنات الأخرى. ولقد بين الجاحظ هذه الوظيفة في " كتاب الحيوان " حيث يقول : " لم يخلق الله تعالى أحداً يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض مَنْ سَخَّرَ له، فأدناهم مَسَخَّرَ لأقصاهم وأجلهم مَسَرَّ لأدقهم. وعلى ذلك أحوَجَ الملوك إلى السُّوقَةِ في باب، وأحوَجَ السُّوقَةُ إلى الملوك في باب، وكذلك الغنيُّ والفقير، والعبد وسيِّدُه ".⁽¹⁶⁾

3) تحقيق الأهداف المشتركة : تتعدّد اهتمامات المجتمع وأهدافه التي يُسَطَّرُها لبناء مستقبله بتعدد مناحي الحياة وتنوع الحاجات التي يتطلع أفرادها إلى تحقيقها. وهذه الأهداف المشتركة تحتاج إلى تعاون وتواصل يساعد على تحقيقها، تتضافر خلالها جهود كل الأفراد من أجل الوصول إلى الغاية الجماعية. لذلك يقال مثلاً تغليب المصلحة العامة، في إشارة إلى الاتفاق الذي يُقدِّم منفعة جماعية على رغبة فردية معينة. ولا بد للثقافة الجماعية أن تُراعي حق الفرد وحاجته وحرّيته وفق مبدأ الانتماء والتحابذ الذي يضمن للجماعة وأعضائها ذلك التماسك والتناغم المرجوئين. فالاتصال الشخصي يؤسس لتلك الثقة المتبادلة من أجل ضمان الحد المطلوب من الحاجات التي يشترك فيها الجميع.

4) التعايش بين الأفراد (Coexistence) : يتطلب التعايش تذليل الخلافات التي تظهر بين الأفراد وداخل الجماعة أو فيما بين الجماعات، حتى لا تتسبّب في تصدع العلاقات

الاجتماعية وتفكك الجماعة أو نشوب صراعات ممتدة إلى جماعات أخرى. وستبين هذه الأبعاد بشكل أدق في المحور الموالي للدراسة.

المحور الثالث. مفهوم التعايش (Coexistence) ومجالاته.

من سنن الكون اختلاف الكائن البشري في الخلق، الجنس، العرق، والحاجات، وهو لا يتميز في ذلك عن باقي الكائنات الأخرى إلا بما أوتي من عقل ولسان وحسن تدبير، ليتعايش أولاً مع الطبيعة ويتصرف فيها بما يضمن بقاءه وحياته، ومن ثم ليستخدم سائر أفراد نوعه البشري بما ينتفع به من أفعالهم ووجودهم إلى جانبه. ومثلما يكون له ذلك منهم يكون للآخرين عليه نفس ما عليهم. وذلك هو الاجتماع البشري الذي دعت إليه الضرورة ليكون الإنسان مدنيا بطبعه، ميالا إلى الاجتماع والتعاون مع غيره من البشر، مضطرا للتعايش معهم بالمساواة الاجتماعية التي تضمن منفعتهم مثلما تمنح الآخرين قسطهم من تلك المنفعة المتبادلة. وفي ذلك يقول الدكتور محمد حسين الطباطبائي، وهو أحد الفلاسفة والمفكرين والمفسرين المعاصرين في كتابه "الميزان في تفسير القرآن"، الجزء الثاني منه: "غير أن الإنسان لما وجد سائر الأفراد من نوعه وهم مثله يريدون منه ما يريد منهم صَالِحَهُمْ وَرَضَى مِنْهُمْ أَنْ يَنْتَفِعُوا مِنْهُ وَزَانَ مَا يَنْتَفِعُ مِنْهُمْ وَهَذَا حُكْمُهُ بِوَجُوبِ اتِّخَاذِ الْمَدِينَةِ وَالاجْتِمَاعِ التَّعَاوُنِيِّ وَيُلْزَمُهُ الْحُكْمُ بِلزوم استقرار الاجتماع بنحو ينال كل ذي حق حقه ويتعادل النسب والروابط، وهو العدل الاجتماعي".⁽¹⁷⁾ غير أن الضرورة والحاجة هي التي دفعت الإنسان للاجتماع والتعاون والحكم بالعدل في تبادل المنافع مع غيره ولو لم يكن مضطرا لذلك لما كان ليَقْضَ لا بالتعاون والاجتماع ولا بالعدل في الحكم بذلك الاجتماع. وهو ما يفسر معنى أن الإنسان مدني بطبعه؛ أي أنه يتعايش مع غيره ويتقاسم معهم الحاجات والمنافع بحكم الاستخدام الاضطراري؛ لذلك كلما قوي إنسان على آخر ضَعُفَ حُكْمُ الاجتماع التعاوني وحُكْمُ العدل الاجتماعي أثراً، فلا يُراعِيه القوي في حق الضعيف، ونحن نشاهد ما يقاسيه ضعفاء الملل من الأمم القوية، وعلى ذلك جرى التاريخ أيضاً".⁽¹⁸⁾

ولذلك دعت ضرورة الاجتماع البشري في المدينة على اختلاف الأجناس والخلائق والتوجهات والحاجات أن يكون لذلك نظام يسري على الأفراد والجماعات فيضبط اختلافهم ويضمن الحقوق ويُقر الواجبات، ويُنظِّم علاقاتهم ليس على أساس القوة والضعف أو الغلبة والهزيمة، أو العرق والعصبة، أو الجنس والنوع، بل على قدر من المساواة والتفاهم والتعاون، التسامح والاحترام وتقاسم المنافع والأعباء بما يخفف من الصراع والتنافس ويحقق تعايش الجميع والقبول بالاختلاف.

أ- التعريف والمعنى.

(1) **المعنى اللغوي :** جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي : "العيش : الحياة، عاش يعيش عيشاً ومعاشاً... والطعام ما يُعاش به والخبز، والمعيشة التي تعيش بها من الطعام والمشرب، وما تكون به الحياة وما يُعاش به أو فيه". (19)

أما الخليل الفراهيدي في كتابه "العين" فيقول : "عيش : العيش : الحياة، والمعيشة: التي يعيش بها الإنسان، من الطعام والمشرب، والمعيشة ضرب من العيش مثل الجلسة و المشية، وكل شيء يُعاش به أو فيه...فهو معاش، والنهار معاش، الأرض معاش للخلق يلتمسون فيها معاشهم". (20)

(2) **المعنى الاصطلاحي :** يدل المعنى الاصطلاحي للتعايش على اتفاق طرفين أو أكثر على تنظيم وسائل العيش بينهم وفق قاعدة يحددون عبرها السبل المؤدية إليه، كما يقوم على التفاهم حول الأهداف المتفق عليها من أجل الوصول إلى عيش آمن بعيدا عن النزاعات والظلم، والاعتداء والحروب، التي قد تلحق بالأفراد والجماعات. (21)

ويرى سفين م . سبينجمان بأن التعايش يمثل نموذجاً لاستئناف حياة منتجة آمنة، ونظاماً اجتماعياً يُمكن الأفراد الذين اغرطوا في أعمال عدائية سابقة ضد بعضهم البعض أن يعيشوا ويعملوا معاً دون أن يدمر أحدهم الآخر، وهو الطريقة التي يجب أن تُدار بشكل حذر من أجل تجنب تجديد العداءات. وفي بعض الأحوال قد يصبح التعايش شكلاً لدولة مستقرة نسبياً، ولكنها غير مندمجة. أو في حالات أخرى، قد يحمل معه احتمالات تحقيق اندماج اجتماعي واقتصادي أكثر عمقا. (22)

فالمعنى الاصطلاحي للتعايش يجعل من المفهوم مبدأ أساساً تقوم عليه الحياة السلمية المشتركة للأفراد والجماعات بما تحمله من اختلافات ثقافية وحضارية، إثنية، سلالية وطائفية، مذهبية أو إيديولوجية. وسواء على مستوى المدينة والدولة أو على مستوى الوجود الإنساني ككل. نقض التعايش هو الصراع الذي يتأسس على قاعدة "بقاء الذات يتوقف على زوال الآخر" ويعني الصراع الفردي والجماعي بكل ما ينطوي عليه من تعصب، واستعلاء وضيق أفق، وتناحر أهلي أو عرقي أو إيديولوجي، أو ما يحدث من انقسام حاد بين أبناء الأمة الواحدة وما يقع من فوضى وآلام، وكراهية متبادلة ولا تسامح بين الأفراد والجماعات.

وإذا كان المدلول الاصطلاحي للتعايش قد شاع حديثاً من منظور إيديولوجي سياسي حيث ارتبط بصراع القوة بين معسكري الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة مع نهاية الحرب

الباردة حول أسلحة الدمار الشامل، ومع سقوط جدار الفصل بينهما في برلين (ألمانيا)، إلا أن هذا المفهوم يأخذ أبعاداً يقسمها بعض الباحثين إلى ثلاثة مستويات: (23)

أ) مستوى سياسي إيديولوجي : ويُقصد به الحد من الصراع وترويض الخلاف العقائدي بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي سابقاً، أو العمل على احتوائه، أو التحكم في إدارة الصراع بما يسمح بتفعيل الاتصال بين القطبين، والتعامل بما تقتضيه ضرورات الحياة المدنية والعسكرية.

ب) مستوى اقتصادي : ويرمز التعايش إلى علاقات التعاون بين الحكومات والشعوب في مختلف الميادين؛ الاقتصادية والتجارية والقانونية بما يحقق تفاعلاً في العلاقات وتبادلاً في المنافع والمصالح.

ج) مستوى عقائدي، ثقافي وحضاري : ويميل الرأي إلى اعتبار التعايش من هذا المنظور هو الأحدث، حتى وإن الراجح أن يكون هو الأعرق كما سيتضح لاحقاً، ويشمل خاصة التعايش الديني والحضاري، حيث يتجه الطموح لأن يسود التعايش ويعم كل الأديان والحضارات ويترع الناس كافة إلى السلم ويسود السلام العالم، ليعيش الناس في جو من الإخاء والتعاون، ويعم الخير للجميع. وإن مفهوم التعايش من هذا المنظور يثير جدلاً كبيراً في ظل الصراع الحضاري المحتدم والجدال العقائدي الذي قد لا ينتهي إلّا بفناء الإنسان. وأما اعتبار مفهوم التعايش العقائدي مفهوماً قديماً فلأن النبي الأعظم محمداً (ص) عندما أقام أول دولة له في يثرب (المدينة المنورة) بث فيها الأمان والعيش الآمن للمسلم وغير المسلم؛ فكان اليهودي والنصراني إلى جانب المسلم لهما نفس الحقوق وعليهما نفس الواجبات، وكان الحبشي والرومي والفارسي يتمتعون بكل حقوق المواطنة. وقد تضمنت وثيقة (دستور) المدينة المنورة (24) شكل ومضمون ذلك التعايش.

التعايش الاجتماعي يعني "التعلم للعيش المشترك، والقبول بالتنوع، بما يضمن وجود علاقة إيجابية مع الآخر، فعندما تكون العلاقات إيجابية وعلى قدم المساواة معه، فإن ذلك سوف يعزز الكرامة والحرية والاستقلال، وعندما تكون العلاقات سلبية ومدمرة فإن ذلك سيقوّض الكرامة الإنسانية وقيمتنا الذاتية". (24)

وقد ارتبط مفهوم التعايش الاجتماعي في الوقت الراهن بتلك العلاقات بين الجماعات المختلفة في المجتمع الواحد إما عقائدياً وثقافياً، أو عرقياً ولغوياً، أو إيديولوجياً وسياسياً حيث إنَّها تقيم علاقات برغم تلك الاختلافات، وهي ترى أن الاختلاف تنوع ثقافي وثراء اجتماعي

يعزّز علاقات التعايش بينها ويكرس المساواة، ويدعم حرياتها واستقلالها. ويكون التعايش قويا وفعالا في العلاقات القائمة على قبول الاختلافات، إذ تتأسس على الثقة والاحترام، والاعتراف المتبادل. والتعايش من هذا المنظور هو مرادف للاندماج الاجتماعي كما يرمز إلى مفاهيم مثل التماسك الاجتماعي والتضامن الاجتماعي.⁽²⁵⁾

ب- مجالات التعايش الاجتماعي في المدينة.

من الأهمية معرفة المجالات الإنسانية والاجتماعية التي يشملها التعايش داخل المدينة؛ ويقصد بها تلك الاتجاهات العقائدية والروحية، الفكرية والإيديولوجية، العرقية والثقافية، المذهبية والطائفية التي تشكل حلقات التباعد والاختلاف بين الأفراد والجماعات إذ تتطلب الحياة في المدينة حدا أدنى من التوافق والمعايشة السلمية، لقبول تلك الاختلافات وتجاوزها إلى ما يضمن الحق المشترك للجميع في تقاسم العيش على أساس من الاحترام والاعتراف بوجود الآخر، وبحقه في الاحتفاظ بمكوناته الشخصية وانيته.

1- الاتجاهات العقائدية والروحية : وتمثل جوهر الصراعات والاختلافات بين الأفراد والجماعات عبر التاريخ والعصور الإنسانية، وقد قامت حضارات وزالت أخرى على أسس عقائدية ودينية. وسُلبت الحقوق واستُبعدت أقوام وقُتل أجناس بشرية ودمرت مدائن وهُجر أهلها بسبب الحروب والاقتتال الذي كان أساسه عقائديا. وإن كانت المعتقدات كلها تركز التمييز والاختلاف والتعصب بكل أشكاله في علاقاتها الاجتماعية، إلى أن جاء دين التوحيد الذي أزال الفوارق وحرر الإنسان ونشر مبادئ التعايش والتسامح، وأقام العدل والمساواة لا على أساس العرق أو الجنس أو اللون بل على مبدأ التقوى والأخوة بين المسلمين من جهة ونشر مكارم الأخلاق والتسامح والتعايش مع غير المسلمين واحترام اتجاهاتهم واختياراتهم العقائدية. فما تشهده المدينة من صراع عقائدي وتعصب ديني وتشدد في القناعات يميل في مواقف كثيرة إلى العنف والعنصرية الدينية ورفض الاختلاف بالقوة وبالتصفية؛ إنما يتصل بقناعات منحرفة وسلوك غير إنساني يهدد المفهوم السامع للتعايش من منظور العقيدة الكونية الكاملة، ويكرّس الأحقاد واللاتسامح، ويعزز الفرقة، ويُفقد المدينة الطمأنينة المرجوة لاستقرارها وتطورها.

2- الاتجاهات المذهبية : ويُقصد بها تلك الاتجاهات والمذاهب المتعددة التي قد تنفرع في الدين الواحد إلى انتماءات مختلفة في نهج العبادة والممارسة الدينية ولكن غالبا ما تجتمع في الجوهر. ولقد شهدت المدينة في أوروبا في قرون مضت ثورات مذهبية وتمايزا في الاتجاه العقائدي لم ينته إلا بحركات إصلاح بين المذاهب المسيحية رأت أن الحرية السياسية

وحرية المعتقد لا يمكن أن تقوم بالإكراه وهي تتضمن الحرية المدنية، بل إن الممارسة الدينية إنما هي متروكة لحرية الضمير بلا عائق ولا تدخل من الآخر. (26)

فمفهوم التعددية المذهبية يعني الاعتراف بوجود تنوع في الانتماء المذهبي في البيئة الاجتماعية الواحدة إذا كان هذا التعدد موروثاً عبر الأجيال حيث لا يمكن إلغاؤه أو رفض الجماعة التي تنتمي إلى مذهب مختلف. وعبر التاريخ الإسلامي قد انتشرت مذاهب ومدارس فقهية منذ مطلع القرن الأول الهجري، بعضها لم يصمد ولم تنسم رقعة. (27)

3- الاتجاهات الفكرية والإيديولوجية : تتعلق بالحق في الاختلاف الفكري وتعدد الاتجاهات الإيديولوجية والقناعات السياسية واحترامها، وحرية الرأي بين الأفراد والجماعات والتعايش بهذا الاختلاف باعتباره ثراء فكرياً ومعرفياً غايته المشاركة في البناء الاجتماعي، والتدافع الإيجابي في التأثير على القرارات التي تتعلق بمصير الجماعات الاجتماعية المختلفة، وفي سن القوانين والقواعد التنظيمية أو تعديلها، بما يحقق الحياة الآمنة للجميع دون إقصاء أو قميش أو تقييد للحريات.

ويُشار إلى النظام الاجتماعي الذي لا يعترف بالاختلاف الإيديولوجي والفكري والسياسي ولا يحترم حرية الرأي ولا يكفلها بأنه نظام ديكتاتوري، أو قمعي، أو استبدادي، إذ يعتمد على اتصال الرفض الذي يكرس مبدأ السلطة والأمر ويمنع الاختلاف. وأما النظام الاجتماعي الذي يقبل بالاختلاف الإيديولوجي والفكري والسياسي وبحرية الرأي، فيشار إليه بأنه نظام ديمقراطي، إذ يعتمد على تفاعل الاتجاهات، وتلاقح الأفكار، وتبادل الرأي، بما يحقق دينامية اجتماعية إيجابية تدفع بالمجتمع نحو الانفتاح والتطور.

4- الاتجاهات العرقية، الثقافية والطبقية : أمّا الاتجاهات العرقية والثقافية فتشير إلى تلك الاختلافات في الأجناس والسلالات البشرية التي قد تنقسم العيش في المجتمع الحضري الواحد وقد تختلف في الصفات الخلقية وفي اللون والعادات والتقاليد واللسان، لكنها تتألف في قواسم أخرى قد تكون عقائدية أو مذهبية أو تاريخية، أو يحكم انتمائها للبيئة الاجتماعية الواحدة. وأمّا الاتجاهات الطبقية فهي تلك الاختلافات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات من حيث الانتماءات العائلية والمراكز الاجتماعية المتوارثة، أو المكتسبة بحكم الوظائف والأدوار، إذ تميز بين الغني والفقير، والشريف والحقير. وقد يؤدي الصراع العرقي أو الإثني إلى حروب أهلية خطيرة العواقب إذا ما لم تقبل الأطراف المختلفة التعايش والتوافق ضمن قواسم أخرى تحتوى تمايزها العرقي. والتاريخ المعاصر ما يزال يذكر الحروب الأهلية الإثنية؛ في روندا بين الهوتو والتوتسي (1991-1993)، وفي البوسنة والهرسك (يوغسلافيا الاتحادية سابقاً 1991-1995)، وفي إقليم دارفور السوداني بين قبائل مسلمة (2003).... الخ

المحور الرابع. أسس التعايش الاجتماعي في المجتمع الحضري (المدينة)

ويقصد بالأسس تلك القواعد والمبادئ والضوابط والشروط التي تتطلبها التعايش الاجتماعي كأسلوب حضاري وإنساني للعيش الآمن بين الأفراد والجماعات، وقبول الاختلاف كمعيار لتنظيم العلاقات الإنسانية في المدينة.

أ- التكيف مع البيئة الحضرية (Adaptation-adjustment):

يشكل التكيف عنصراً نفسياً واجتماعياً أساسياً في علاقة الفرد بذاته وبالآخرين، إذ يرتبط بالسلوك الذي يتصرف وفقه الأفراد في علاقاتهم وتعاملهم مع بعضهم البعض، للتوافق والانسجام مع متطلبات الحياة في البيئة الاجتماعية التي تجمعهم. فالناس ينقسمون للوظائف والأدوار ويتبادلون المصالح والمنافع، ويستجيبون للنظم التي تسيطر وتنظم مختلف العلاقات والعمليات الاجتماعية. ولأن الأفراد مختلفون ولكل شخصيته وطباعه وسلوكه، وأسلوبه في الاتصال بالبيئة الذي يعيش فيه، فإن قاعدة التعايش تستدعي أن يعدل الفرد أو يكيف سلوكه وفقاً للمواقف والظروف التي تجعله يتصل بالآخرين أو يحاكمهم أو يرتبط بهم، إما في حياته اليومية الطبيعية بقصد وبغير قصد، وإما بحكم الرمال والصدقة والخيرة والمعاشرة، أو من خلال العلاقات الأسرية أو في المدرسة والجامعة والعمل، وهكذا.

وفي علم الأحياء (البيولوجيا) يدل التكيف على: تغير في بناء الكائن الحي أو في وظيفته يجعله أكثر قدرة على المحافظة على حياته أو بقاء جنسه. (28)

وقد استخدم هذا المصطلح لأول مرة عالم النفس الأمريكي ج. بالدوين⁽²⁹⁾ (J. Baldwi) في مؤلفه الصادر عام 1895، ويعني حسب التوازن الاجتماعي للتكيف البيولوجي كصورة من صور التوافق مع البيئة. لذلك يفرق علماء الاجتماع بين التأقلم - حسب منظور بالدوين - والتكيف، حيث إن التأقلم (Adaptation) يُستخدم للدلالة على تلاؤم السلوك الإنساني مع ظروف البيئة الطبيعية، أما التكيف (Adjustment) فيرتبط بظروف البيئة الاجتماعية. وبالتالي فإن التكيف الاجتماعي يعبر عن التفاعل الذي يستهدف التوفيق بين الأفراد والجماعات، بحيث يتفهم كل طرف من الأطراف أفكار ومشاعر واتجاهات الآخر ليحدث بينهما تقارب يؤدي إلى تحقيق مصلحة مشتركة. (29)

ب- التعارف في المجتمع الحضري :

قد يُبنى منظور التعارف انطلاقاً من مفهوم الحاجة إلى الآخر التي تعكس صفة الاجتماع البشري.

جاء في لسان العرب لابن منظور: "وتقول: أنت فلانا فاستعرف إليه حتى يعرفك، وقد تعارف القوم أي: عرف بعضهم بعضا... واستعرف إليه: انتسب له ليعرفه". (30)

أما الطبائبي في تفسيره لمفهوم التعارف فيقول: "فلو فرض ارتفاع المعرفة من بين أفراد المجتمع، انفصم عقد الاجتماع، وبادت الإنسانية، فهذا هو الغرض من جعل الشعوب والقبائل، لا أن تتفاخروا بالأنساب وتتباهوا بالآباء والأمهات". (31)

ومن خلال المفاهيم اللغوية والاصطلاحية للمفهوم يمكن صياغة المعنى الدلالي للتعارف بأنه؛ ذلك التقارب والالتقاء بين الأفراد والجماعات الذي تفرضه حاجة البشر إلى بعضهم البعض بغرض تحقيق غايات وأهداف وطموحات لا يمكن لأي منهم تحقيقها بمفرده حيث يتشارك لتحقيقها فردان مختلفان في ميزة من الميزات على الأقل تتحدد حسب طبيعة الحاجة التي يحدث وفقها هذا التعارف والتقارب بينهما. ويقتضي التعايش الاجتماعي أن يكون تعارف الناس ليس على أساس التمايز النسي والطبقي، العرقي والإثني، أو العقائدي والمذهبي والطائفي، وما إلى ذلك من الاختلافات الجنسية والسلالية والاجتماعية التي عادة ما تجتمع في المجتمع الحضري. بل يُراد من ذلك التفاضل (التنافس) في الغايات والقدرات والأدوار التي يتحملها الأفراد والجماعات، كل بما يستطيع أن يقدم للآخرين لينتج التكامل والتعاون ويسود الوئام والتفاهم، وترفع الأحقاد والضغائن والعصبيات التي تحدث بين الناس، من جراء تباين وجهات نظرهم أو تناقض مصالحهم واختلاف اتجاهاتهم. "فالعلاقة بين مفهوم التعايش والتعارف تتجلى أكثر فيما إذا علمنا أن التعايش هو نوع من التعارف في المشترك الحضاري والإنساني، وتبادل الخبرات التي تعين الإنسان على عمارة الأرض ونشر قيم الخير". (32)

ج- الحوار سلوك التعايش الاجتماعي :

يقول الدكتور عبد العزيز التويجري: "الأصل في الحوار... هو المراجعة في الكلام وهو التجاوب بما يقتضي ذلك من رحابة الصدر وسماحة النفس، ورجاحة العقل، وبما يتطلبه من ثقة ويقين وثبات، وبما يرمز إليه من القدرة على التكيف، والتجاوب، والتفاعل، والتعامل المتحضر الراقي مع الأفكار والآراء جميعا". (33)

فالحوار من هذا المنظور ليس مجرد اتصال (contacte) يقوم به طرف لينتظر جوابا أو لا ينتظر، بل يتعدى إلى التفاعل والتشارك بالمعنى العميق للاتصال الشخصي (Interaction). فالحوار عملية عقلية ثقافية واعية تتم بين طرفين ويكون فيها كلام ومخاطبة وجواب، قد يتضمن التعبير عن موقف أو اعترافا بالخطأ ومراجعتة وتصحيحه وقد يكون

أسلوباً لإنهاء خلاف أو فك نزاع أو طلب صفح، أو استرجاع حق، بطريقة سلمية تتصف بالحكمة والاعتدال في التخاطب أو المجادلة. ليكون بذلك الغرض من الحوار في أرقى صفاته التسامح والتقارب والتفاعل والتعايش.

- مقومات الحوار في المجتمع الحضري : يُرجى من الحوار أن يكون أرقى أساليب الاتصال بين الأفراد والجماعات في المدينة، بما يمثله من مظهر راقى للتعايش والتسامح والتفاهم حول المصالح والمنافع والأهداف المشتركة، أو تلك التي تشكل موضع الخلاف والتنازع أو الشد والجذب حول أساليب الانتفاع منها، أو بغرض التعارف وتشكيل العلاقات والروابط وتمتين عُراها. ويستند الحوار إلى أسس ومقومات يمكن حصرها فيما يلي:

(1) الاحترام والاعتراف المتبادل: يعتبر منطلقاً أساسياً لأطراف التفاوض إذ يُحفزهم على التعبير عن أفكارهم بثقة وأمان وحفظ للكرامة وتقدير متبادل للرأي والرأي الآخر. وتلك "قواسم مشتركة تكون إطاراً عاماً وأرضية صلبة للحوار".⁽³⁴⁾ وتلعب القيم والمبادئ والمعايير التي يشترك فيها الأفراد، وتنظم سلوكهم وعلاقاتهم، أو تلك الضوابط والقوانين التي يجتمعون حولها، عوامل ضامنة لحوار لا يصيبه الجدال العقيم والتطاول على أقدار الناس وكرامتهم أو الانتقاص من مكانتهم وشرفهم، أو التراشق بالإساءة.

(2) الانفتاح على الآخر والقبالية والمرونة على مراجعة الأفكار واجتناب التعصب: فالمفاوض يجب أن يكون حليماً صبوراً لا يغضب لأنفه الأسباب، فإن ذلك يؤدي إلى النفور منه والابتعاد عنه. والغضب لا يوصل إلى إقناع الخصم وهدأته، وهو من الصفات الذميمة وإنما يكون ذلك بالحلم والصبر.

ويعني مفهوم التسامح في هذا السياق؛ مجموعة السلوكيات والممارسات الفردية والجماعية التي تهدف إلى نبذ التطرف والتعصب، وتقويم كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة للقيم السائدة وإعادة إلى الطريق الصحيح، بما يتوافق وقيم المجتمع الذي يعيش فيه. كما يعني السلوك والنهج المتبع لمواجهة التصرفات والممارسات الفردية والجماعية غير المبررة في أي مجال كان للحد من التصرفات العنيفة.⁽³⁵⁾

ويرى العديد من الفلاسفة أن التسامح لا يعني تخلي المجتمع عن حيازة وسائل الردع لكل ما يهدد حياة وأمن ومصالح الناس. فقد وضع "جون لوك" ضوابطاً للتسامح لا ينبغي تجاوزها بأي حال من الأحوال، لأن من شأن ذلك أن يهدد السلم والأمن، وفي مقدمة هذه الضوابط؛ عدم الترويج لمعتقدات وأفكار متطرفة تهدد أمن المجتمع، أو أية أفعال تهدف إلى

تدمير الدولة أو التعدي على حقوق وأموال الآخرين. والدولة حسب لوك ملزمة بأن تضمن على أرضها حرية التعبير عن المعتقدات الدينية والسياسية والفلسفية، شريطة أن لا تؤدي هذه المعتقدات إلى إشاعة الاضطراب والفوضى في المدينة. أما "سينوزا" فقد دعا إلى الدفاع عن الحق لكل فرد في التفكير في ما يشاء وقول ما يفكر فيه، إلا أنه دعا أيضا إلى محاربة كل الأفكار الخاطئة وغير العقلانية التي لا يمكن البرهنة عليها، أو لا يمكن أن تكون موضوعا للتواصل. ⁽³⁶⁾ ويشمل نبذ التعصب والكراهية وتحقيق التسامح في الحوار كل مناحي الحياة داخل المدينة: ⁽³⁷⁾

3) الوعي بالذات والعدل والإنصاف: يحتاج الحوار بين الأفراد والجماعات حداً أدنى من الوعي بالذات وفهمها، وتحديد مقاصدها بعقلانية وتدبر، حيث يحتاج الحوار التكافؤ في فرص التعبير وإبداء الرأي والمراجعة الكلامية، لكي يتسنى للمتخاورين الإلمام بالأفكار والحجج التي تدعم أسلوب الحوار والإفهام، وترك مجالا أرحب لوضوح النية وحسن الضم والتماس العذر في الخطأ. ويقصد بالعدل والإنصاف من باب المساواة بين المتخاورين؛ عدم تغليب الرأي على الآخرين بالباطل ودون وجه حق أو احتقار صاحب الحق إذا كان ذا ضعف أو قلة حيلة وجاه ونسب أو قلة مال. ويستدعي العدل "الاعتراف بالفضل لذويه، ويتطلب الإقرار بالحقيقة حتى وإن لم تكن لصالح كل الأطراف". ⁽³⁸⁾

د- العفو والصفح صفتان للتعايش الاجتماعي:

تشكل حياة الفرد وتتطور عبر سلسلة من التجارب والخبرات التي يكتسبها ويطورها بفضل احتكاكه بالآخرين والاتصال المتجدد كلما عرج إلى الحياة الاجتماعية. وتمثل حياة المدينة شبكة معقدة من الاتصالات اليومية التي تحكمها دينامية لا متناهية من التفاعلات والعلاقات المتعددة التي ينخرط فيها الناس والعمليات الاجتماعية التي تنظم النشاط وتستجيب إلى حاجات الأفراد والجماعات. غير أن اختلاف الطبائع وتباين السلوك وتعدد الميول يعرض الناس خلال احتكاكهم وتعاملاتهم المتكررة إلى الخطأ، أو النسيان أو الإساءة أو التقصير. وسواء وقعت الإساءة من الفرد إلى الآخرين، أو من الآخرين إليه، فإن الناس لا يمكنهم العصمة من ذلك. لهذا أوجب تعايشهم مع بعضهم والقبول بتجاوز الأخطاء وعدم الكمال بالصفح والعفو عن المزالات والإساءة، لتستمر حياتهم إلى جانب بعض على أساس الجمع والوحدة والتضامن، لا على الفرقة والتنافر، والانتقام.

فمفهوم العفو هنا إخلاء سبيل المسيء ومرتكب الخطأ متى كان ذلك العفو فيه مصلحة وفائدة إنسانية، أي تستجيب لغاية حسنة، والقصد من ذلك استهداف التعايش واستعادة الطمأنينة مكان المشاحنة والرجز وتكريس العداوة والبغضاء.

وأما عن الصفح فقد يكاد يكون المعنى المرادف للعفو باختلاف جزئي في الاصطلاح. فقد قال ابن منظور: "الصفح: الجنب، وصفح الإنسان جنبه...، وصفح عنه يصفح صفحا: أعرض عن ذنبه...، والصفح الكرم؛ لأنه يصفح عمن جنى عليه...، وأما الصفح من صفات الله ومعناه العفو".⁽³⁹⁾ وأما الفراهيدي في العين فيقول: "الصفح الجنب من كل شيء...، وصفح الرجل: عرّض صدره...، وصفح عنه أي: عفوت عنه".⁽⁴⁰⁾

٥- الصلح والإصلاح دعامة التعايش الاجتماعي :

الصلح والإصلاح مفهومان متكاملان ومتلازمان في بعدهما الاجتماعي، إذ أن الصلح يسعى إلى إنهاء الخصومة والتقريب بين المتخاصمين وإعادة العلاقة بينهما إلى ما يحقق التقارب والتفاهم والتأخي إذا كان المتخاصمان من ملة واحدة، ومن ذلك تجديد الروابط وترك الغل والبغض والحقد والعداوة، والدخول في السلم والتعايش بقبول الاختلاف وجنب الخلاف. والصلح بين المختلفين من دون الملة، المتباينين في الدين والجنس والعرق فيكون بينهم بقبول التسامح والتعايش بالاختلاف؛ والتزام حدود التباين ألا يفرض طرف على طرف عقيدته قهرا، ولا يحقر جنس جنسا آخر، ولا غلبة لعرق على آخر. فالصلح يعيد الحقوق لأصحابها ويرسم حدود الأمان بالتساوي، وهو ضمان للتعايش الآمن بين الفرقاء في الدين والملة. وأما الإصلاح فيُقصد به ترميم ما أفسدته الخصومة، وجبر ما يمكن مما تسببت فيه الخصومة والتنازع، أو إيقاف الضرر أو منعه. والإصلاح قد يكون معنويا متى كان ذلك ممكنا؛ كتطبيب الجواهر، الاعتذار والرجوع عن الإصرار والتعصب، وتحديد الصلات، وهكذا. وقد يكون ماديا كترميم ما خربته الخصومة والتنازع، أو التعويض المالي أو رد الدين، أو التهادي، وما تفره الوساطة في الخلاف. وقد يرمي الإصلاح إلى تعديل أو منع، أو تغيير، أو استخلاف الأفراد والجماعة، أو المسؤول بصفة تدريجية، أو فورية جزئية أو كلية، بحسب حجم الإفساد الذي يقابله الإصلاح. فالصلح والإصلاح دعامتان أساسيتان للتعايش الاجتماعي.

المحور الخامس. عوائق التعايش الاجتماعي في المجتمع الحضري (المدينة).

1. العوائق الذاتية والسيكولوجية للتعايش الاجتماعي:

تشير العوائق الذاتية والسيكولوجية إلى مختلف الانفعالات والتراكمات النفسية والدوافع الشعورية واللاشعورية التي تحرك في الفرد نزعة معينة يترجمها من خلال سلوكه تجاه الآخر، حيث تتمظهر في أشكال تعبيرية مختلفة بحسب الموقف الذي تحدث فيه، والأسلوب الذي يتم عن طريقه التعبير عن نمط انفعال الرفض وشدته.

ويمكن تحديد أهم تلك العوامل والأسباب الذاتية والنفسية التي تعيق التعايش كما يلي:

أ- كره الآخر (Hate of the other):

يقول الدكتور صالح بريك؛ الباحث في علم النفس، عضو اتحاد العلماء في بلغاريا وصاحب أحدث كتاب باللغة العربية بعنوان "الكره أو اللاتسامح مع الآخر":

"من السهل طرح سؤال حول ماهية الكره، في حين تبدو الإجابة عليه في غاية الصعوبة والتعقيد.... فأحيانا يتمظهر كأنفعال، وأحيانا كاتجاه، وفي بعض الأحيان كسلوك. فقد يخلق موقف المنافسة مشاعر كراهية في حال ظهر تحيزٌ لجانب على حساب آخر، أو في حال تحقيق إنجازات كبيرة من طرف على آخر؛ وتكمن الأحكام المسبقة والقوالب الذهنية الجامدة وبعض القيم والأعراف الاجتماعية وراء الكره كاتجاه؛ ويتحول الكره إلى سلوك عنفي "كارثي" في موقف صراعي بين الفرد وذاته، أو بين فرد وآخر، أو بين فرد وجماعة أو بين جماعة وأخرى. وقدر كبير من الكره يدور حول صور الحياة والموت. مثلاً يبدو قتل "الآخر" الذي نحسبه خطراً يهدد وجودنا وكأنه فعلٌ يستهدف الحياة والبقاء. وبهذا المعنى يشمل مفهوم الموت، إلى جانب انتفاء الحياة "انقراض" الهوية الفردية والجماعية، فوجودنا لا يعني تلبية الحاجة إلى البقاء فقط، بل أيضاً الحاجة إلى الأمن والقوة وتحقيق الذات".⁽⁴¹⁾

يمكن تحديد معنى للكره عبر ثلاث صيغ كما حددها الدكتور صالح بريك:⁽⁴²⁾

- حالة انفعالية غير محددة زمنياً، كثافتها متغيرة، غالباً ما تستقر في مستويات منخفضة من الشعور، وهي قابلة للانفجار متى توفرت الأسباب لذلك. فإذا استمرت حالة الانفعال فإنها ترفع الكره الكامن حيث يصبح سبباً مفسراً لانفجار غضب الشخص فجأة وانتقامه بطريقة

وحشية غير متوقعة ؛ ونكون بذلك أمام الحالة الثانية لمفهوم الكره.

- حالة هيجان؛ أي عندما يُظهر الشخص درجة عالية و شديدة من الانفعال تحمل شحنة لها تأثير مؤقت قد يشكل خطراً على الذات وعلى الآخرين. ويشكل الغضب أكثر الصيغ انتشاراً وتعبيراً عن الكره كهيجان، وغالباً ما يعبر عن حالة إحباط يميل صاحبه إلى العراك والعنف الشديد، وتكون نيته دائماً غير حسنة.

- اتجاه اجتماعي؛ إذا كانت الحالة الانفعالية السلبية الكامنة شعوراً بالكره ناجماً عن أفكار راسخة أو محتوى معرفي محدد تجاه موضوع الكره ورافق ذلك نزعة سلوكية تشير إلى الرغبة في إيقاع الأذى به؛ حينها يمكن الحديث عن اتجاه اجتماعي للكره.

ويقصد بالكره؛ تلك الأفكار والشحنات الانفعالية السلبية التي يحملها فرد ما ضد فرد آخر، أو ضد جماعة، أو جماعة ضد فرد، أو جماعة ضد أخرى ويكون إما بدافع شخصي أو اجتماعي، أو مصلحي معين، حيث تعبّر عن طاقة قوية كامنة من الشحناء والبغض والحقد والرفض والغضب وعدم الحب، تكون مصحوبة بالرغبة في الاعتداء أو الانتقام والدخول إلى العنف؛ إما معنوي (إهانة - احتقار - خيانة)، أو لفظي (الشتم - السب - القذف)، أو جسدي (عراك - ضرب - جرح - قتل) للتخلص من شحنات الكراهية بسلوك عدواني يناسب شدة الكره و حالة الغضب والهيجان الذي ينتاب الكاره.

عوامل ودوافع الكره :

1) البيئة الأسرية: يلاحظ بعض المختصين أن البيئة الأسرية التي ينشأ فيها الفرد تعتبر من الأسباب الأساسية التي قد تغرس الكره في الطفل حيث ينمو ويكبر به، و يعيش كثيراً من المواقف التي تواجه مسار حياته بإحداث إسقاطات ماضيه التربوي عليها. "إن تعرض الفرد في طفولته المبكرة لأساليب معاملة والدية مُغلّقة بمشاعر الكره والعداية ينعكس لاحقاً وبوضوح في سلوكياته، بل وفي مختلف جوانب حياته...، خاصة عند مواجهته لمواقف مشابهة لتلك التي تسببت في صدمات يسعى إلى نسيانها أو كبتها". (43)

2) تعظيم الذات والأنانية : بعض دوافع تعظيم الذات قد يرثه الفرد من الأسرة من خلال المعاملة الخاصة والمبالغة في الحب والإفراط في الاستجابة لكل مطالب الطفل لسبب من الأسباب، وقد يكون ذلك طبعاً في الفرد حيث يعتريه حب الامتلاك وتحصيل كل الحاجات لنفسه على حساب الآخرين، ولذلك فإن الشخص الأناني يرفض أي مشاركة للآخرين فيما يريد ويرغب، فهو يدافع عن مصالحه بعدوانية و يقيم الأحكام المسبقة للآخرين ويجد لهم كل

المساوي والأخطاء والنقص، كما يكره نجاح الآخرين وتفوقهم عليه. ولعل من أسباب الصراعات والتراعات ؛ تفضيل الأفراد لمصالحهم الخاصة وتغليب ذلك بالكره والعنف.

(3) الإحساس بالظلم : هذا النوع من الكره يكون سببه المباشر غياب العدل وممارسة الظلم كاحتقار الغني للفقير، والقوي للضعيف، والحاكم للرعية، والزوج لزوجته، والولي لابنه والمالك لخدمته، والمسؤول لمستخدمه. والإحساس بالظلم يتجسد أيضا في مختلف العمليات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية التي تحدث فيها الخلافات والفروق ؛ كالجار لجاره بالاعتداء على حرمة أو ملكيته، والزميل لزميله بالغش والخديعة والمكر، والصديق لصديقه بخيانة الأمانة أو العثرة، وهكذا.

(4) الاتجاهات المتناقضة لوسائل الاتصال الجماهيري وتكنولوجياها: ففكرة ماكلوهان التي تعود كلما سبق الحديث عن تأثير وسائل الاتصال الجماهيري على سكان القرية الكونية الافتراضية تجعل مفهوم الكره في هذا السياق ينطوي من جانب ؛ على تلك التقنيات المعقدة والاختراعات المتسارعة التي أصبحت تسيطر وبشكل قوي على سلوك الأفراد حتى صاروا لا يمتلكون القدرة على التخلص من العزلة التي فرضتها عليهم والترعة الفردية التي تشبعوا بها إذ أصبح الميل إلى هذه الوسائل لتحقيق أشبهات معينة أحبباً إلى الفرد من تلك الحاجة إلى التفاعل ضمن علاقات إنسانية واقعية. ومن جانب آخر؛ فإن ما تقترحه تلك الوسائل على الفرد والجماعة من مضامين واتجاهات قيمية متناقضة لا تخضع للرقابة على الأرجح، تمد الأفراد بخيارات سلوكية ونفسية واجتماعية لا يمكن السيطرة عليها.

ب- التعصب (Fanatism- Prejudice) :

قال أحد المفكرين: "إن استئصال فكرة خاطئة من رأس مواطن لأجدي بكثير من استئصال ورم من جسد". (44)

انطلاقاً من هذه الفكرة تظهر ملامح التعقيد والخطورة التي تمثلها الأفكار الخاطئة التي غالباً ما تعوق التعايش الاجتماعي، ومن ذلك التعصب لرأي أو لموقف، لانتماء، لدين، أو لنسب، وهكذا إذ يتمسك المتعصب بموقفه، حتى ولو كان على غير حق. لذلك يشكل التعصب عقبة حقيقية تحول دون تجاوز تلك الاعتقادات التي تجعل صاحبها لا يقبل بالآخرين الذين يختلفون عنه ولا يتيح لنفسه الفرصة لسمع أي آراء آخر يمكن أن يتكامل مع رأيه أو يختلف عنه.

يرى محمد عابد الجابري أن كلمة عصبية كانت شائعة في اللغة العربية وبالأخص بعد ظهور الإسلام، الذي حصر معناها في الدلالة على التنازع والفرقة والاعتداء بالأنساب وذلك في مقابل الدين الذي يدعو إلى الوحدة والتآخي وتآلف القلوب.⁽⁴⁵⁾

أما في الفكر الخلدوني فتعني العصبية "الشوكة الفتوية للجماعة التي تحمل المعتمد عليها إلى السلطة، بالانتصار له ظالما أو مظلوما، وتدوم السلطة بدوام العصبية الداعمة لها".⁽⁴⁶⁾

أما آلپورت (Allport) في كتابه "طبيعة التعصب (The nature of Prejudice)" فإنه يشير إلى أن كلمة (Prejudice) التعصب أخذت معناها من الكلمة اللاتينية (Praejudicium) وقد مرت بثلاث مراحل في دلالاتها اللغوية؛ فهي تعني لدى القدامى الحكم المسبق الذي يستند إلى القرارات والخبرات السابقة، ثم اكتسبت لاحقا معنى آخر في الإنجليزية، إذ تعني الحكم الذي شكّل قبل اختبار ومراعاة الحقائق، وهي بذلك حكم سابق لأوانه، ثم اكتسبت الكلمة خاصيتها الانفعالية الحالية، سواء بالتفضيل أو عدم التفضيل الذي يرافق ذلك الحكم المسبق غير المدعم موضوعيا.⁽⁴⁷⁾

ويعرّف التعصب على أنه حكم سلبى مسبق بشأن أعضاء جماعة سلبية أو دينية أو إزاء شاغلي أدوار اجتماعية مهمة، وهو حكم لا يتأثر بالحقائق التي تتناقض معه.⁽⁴⁸⁾

ويرى معن خليل عمر أن لا فرق بين التعصب والكراهية أو الكره، فهو يشير إلى أن التعصب مفهوم "يستخدم عادة في أدبيات العلاقات العرقية ليؤكد على مواقف الفرد الكارهة أو العداء الحاد ضد جماعة اجتماعية أخرى".⁽⁴⁹⁾ فالتعصب إذن هو اتجاه سيكولوجي واجتماعي متشدد يترع إليه فرد أو جماعة، بدافع الرفض وعدم الاعتراف والقبول بوضع أو موقف أو حقيقة مهما كانت براهينها، ودون تقديم مبررات موضوعية عن سلوك التعصب، سوى تلك الأحكام والقرارات السابقة واللاحقة المصاحبة لهذا الاتجاه حتى وإن كانت على باطل. وقد يحمل التعصب معاني التشدد والكراهية والعدوانية ضد الفرد أو الجماعة محل التعصب، حيث يصعب تغيير أو تعديل هذا السلوك. والتعصب أشكال فهناك التعصب العرقي الذي يعني الميل إلى الانتماء العائلي والنسبي والتعصب الديني أو المذهبي، والتعصب القبلي، القومي، الطائفي، التعصب الإيديولوجي، الفكري والسياسي، وكذا التعصب الرياضي، وهكذا.

II. العوائق الاجتماعية للتعايش:

يمكن النظر إلى العوائق الاجتماعية من زوايا عديدة ومختلفة قد لا يمكن حصرها، إذ تتداخل فصولها وتتشابك مسبباتها إلى حد لا يمكن الفصل بين عواملها، وقد ترسم في الذهن

في تعقدها مثل الدوائر الهندسية التي تأخذ شكلا حلزونيا، أو شكل شبك العنكبوت، حيوطه ملفوفة متراسة ومتصلة بعضها ببعض، يصعب تحديد بدايتها أو نهايتها. وإذا لا يخلو كثير من المجتمعات من المشاكل والمنغصات التي تعطل أسباب تطوره، إلا أن تلك المشاكل التي تنقسمها وتشابه فيها المجتمعات الحضرية (المدن) بصفة عامة وإن بدرجات مختلفة من التفاوت والحدة، إذا ما تجاوزت الحد الأدنى من حفظ الكرامة الإنسانية والعيش الآمن للأفراد والجماعات وللممتلكات وضمن الحريات الفردية والجماعية والسهر عليها، فإننا نكون في حالة فقدان ظروف التعايش الاجتماعي. لذلك فإن مفاهيم مثل؛ العنف والتطرف، اللاأمن والجريمة، الانحراف، الثورة، الحرب، وكل أشكال السلوك الاتصالي السليبي الأخرى يمكن أن تتسبب في حالة اللاتعايش الاجتماعي.

– العنف الاجتماعي (Social violence):

عرفت المدينة كرمزية لتطور المجتمعات الإنسانية عبر المراحل التاريخية التي مرت بها أشكالاً متعددة من الصراع والعنف، الأمر الذي قد يدفع إلى الاعتقاد بأن العنف كان ولا يزال يمثل أحد المكونات الرئيسة لتطور السياق التاريخي للبشرية. ويميل هذا الاعتقاد إلى أن الوقائع التاريخية للمجتمعات تبين أن العنف وسيلة من وسائل الصراع والشدة والجذب بين الأفراد والجماعات المختلفين في المصالح والغايات، المتباينين في القوة والضعف والسيطرة والخضوع.

وينطوي مفهوم العنف على مدلولات متشعبة تتسم بالتعقد تارة وبالتداخل تارة أخرى نتيجة تعدد الصور والأشكال التي يتخذها، والعوامل التي تؤدي إلى ظهوره وانتشاره في المجتمع سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، أو كظاهرة اجتماعية عداوية قد تهدد النظام الاجتماعي ككل. ولذلك فإن تلك الأبعاد الخطيرة التي يحملها العنف تتعدى ذلك المنظور السيكولوجي الذاتي المرتبط بحالة انفعالية شديدة قد يكون عليها الفرد، إلى كونه مفهوماً سيكولوجياً، اجتماعياً، سياسياً وثقافياً، وأسلوباً اتصالياً يعبر عن حالة معينة غير مستقرة وغير متوازنة، وقابلة للتعميم.

كلمة عنف في اللغة العربية تشير إلى كل سلوك يحمل معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم. وقد يكون العنف سلوكاً فعلياً (حركياً) أو لفظياً أو رمزياً.

والعنف كما يعرفه القاموس الفرنسي؛ كل ممارسة للقوة عمداً أو جوراً، فمصطلحا القوة والعنف مشتقان من أصل واحد، وإن كان مفهوم القوة (Force) أكثر شمولية من العنف فهذا الأخير من الناحية اللغوية هو الإكراه المادي الواقع على شخص لإجباره على

سلوك أو التزام ما. وكلمة عنف (Violence) بالإنجليزية مستعارة من الكلمة اللاتينية (violentia) التي تشير إلى الاستخدام غير المشروع للقوة المادية بأساليب متعددة لإلحاق الأذى بالأشخاص والإضرار بالممتلكات. ويتضمن ذلك معاني العقاب والاعتصاب والتدخل في حريات الآخرين.⁽⁵⁰⁾

مفهوم العنف يمس كل مناحي الحياة ويمكن أن يشكل تهديداً بالغ الخطورة على الحق في الحياة بشكل عام. وهو لذلك يعتبر أحد العوامل المتسببة في الالتهاب الاجتماعي.

- تعريف حسب موسوعة علم النفس والتحليل النفسي: العنف سلوك مشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، وهو سلوك بعيد عن التحضر والتمدن تستثمر فيه الدوافع العدوانية استثماراً صريحاً بدائياً، كالضرب والتقتيل للأفراد، والكسر والتعطيم للممتلكات واستخدام القوة والإكراه ضد الخصم (الآخر) وقهره. ويمكن أن يكون العنف فردياً أو جماعياً أو صادراً عن جماعة، أو هيئة، أو مؤسسة تستخدم جماعات وأعداداً كبيرة من الأشخاص، على نحو ما يحدث في التظاهرات السلمية التي تتحول إلى عنف وتدمير واعتداء أو استخدام الشرطة للعنف في فض التظاهرات والاضطرابات.⁽⁵¹⁾

- المدلول السيكولوجي للعنف: يعرف ليفي شتراوس L. STRAUSS⁽⁵²⁾ العنف بأنه "استجابة لمثير خارجي تؤدي إلى إلحاق الأذى بشخص آخر، استجابة تكون في شكل عنيف وتكون مشحونة بانفعالات الغضب والهيّاج والمعاداة وهي استجابة تنتج عن عملية إعاقة أو حالة إحباط".⁽⁵²⁾

فالعنف سلوك ظاهر يستهدف إلحاق التدمير بالأشخاص أو الممتلكات، ومعنى ظاهر أي أن العدوانية لكي تكون عنفاً ينبغي أن يتوفر لها شرط الظهور، فثمة أنواع عديدة من العنف تتميز بالخفاء والكمون، مثل مختلف أنواع المرضى نفسياً، وكذلك ما تفيض به أحلام النوم وأحلام اليقظة من صور.

- المعنى الأخلاقي والديني للعنف: يمكن استنباط تعريف للعنف من خلال المسئلة الأخلاقية الثانية عند الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (E. Kant) التي أوردها في كتابه أصول ميتافيزيقيا الأخلاق حيث يقول: "تصرف بطريقة تُعامل فيها الإنسانية (الناس جميعاً) في شخصها كما تُعامل نفسك على أنها غاية وليس وسيلة أبداً".⁽⁵³⁾ وترى هذه القاعدة الأخلاقية أن الإنسان عكس الأشياء، لا يوجد إلا بوصفه غاية عليا في ذاته، فهو كائن عاقل وليس أداة أو وسيلة. لذلك فإن إرادته يجب أن تستوحى الخير في كل الأفعال والممارسات،

كما يجب أن تتجه إلى تحقيق خير وكرامة الآخرين، والأخوة في الإنسانية. وانطلاقاً من هذا يمكن اعتبار أن من يعامل الآخرين بوصفهم أدوات فإنه يغتصب إنسانيتهم وهو يمارس العنف ضدهم. من هذا المنطلق ومن منظور كانط: أن تكون عنيفاً هذا يعني أنك تجعل من الآخرين أدوات ووسائل دون أن تأخذ بعين الاعتبار أن الآخرين يمتلكون كينونة إنسانية غائية بذاتها ومن أجل ذاتها. (54)

فمن وجهة النظر الأخلاقية يعتبر "العنف كاعتداء على ملكية الآخر وحرية، وهو سلوك لا أخلاقي، فالعنف شرٌّ ورذيلة ومعصية، وهو ضد الالتزام الديني والفضيلة والطاعة" (55) وقد جاء في قوله تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ". (56) وقد أكدت السنة النبوية وكرست هذه المعاني بالدعوة إلى الرفق والخير؛ كقول الرسول (ص) "إنَّ اللّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ" وقال أيضاً: "إنَّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُترَع من شيء إلا شانه" (57) ويكون بذلك العنف سلوكاً مشيناً وقبيحاً؛ صاحبه قد اقترف فعلاً معادياً للأخلاق والعرف والدين، بل وللإنسانية في نظر كانط.

- المعنى السياسي لمفهوم العنف: يُعرّف العنف من منظور سياسي على أنه "الاستخدام الفعلي للقوة أو التهديد باستخدامها لتحقيق أهداف سياسية أو أهداف اجتماعية لها دلالات وأبعاد سياسية بشكل يأخذ الأسلوب الفردي أو الجماعي، السري أو العلني، المنظم وغير المنظم". (58)

- المعنى الاجتماعي لمفهوم العنف: يُعرّف العنف من وجهة النظر الاجتماعية بأنه " لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين، حين يحس المرء بالعجز في إيصال صوته بوسائل الحوار العادي، وحين ترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمه". (59) ويدل اتجاه الفرد إلى العنف كخيار أو كحل لمشكلة ما على أن هناك صعوبة لديه في التفاعل مع الآخرين، ما يعبر عن فشل في عملية الاتصال الاجتماعي بالأساليب السلمية.

- المعنى الاقتصادي لمفهوم العنف : تعرف عزة حجازي في كتابها بعنوان " العنف الجماعي" الصادر في 1986 العنف بأنه "يتضمن ردة فعل عدواني اتجاه واقع (مادي - معنوي) يهدّد مصالح الجماعة أو تتصور الجماعة أنه يهددها، فهو يعتبر رفضاً لواقع محيط باستخدام الإيذاء البدني أو التدمير أو التخريب". (60) وحسب هذا الرأي فإن ضعف المستوى الاقتصادي وعدم التكافؤ الاجتماعي وفقدان قيمة العمل وغياب عدالة التوزيع تؤدي إلى العنف بالإضافة إلى أن تدنى مستوى وعي الأشخاص وإدراكهم لمسؤولياتهم الاجتماعية يؤدي إلى ضياع الاستقرار الداخلي وإلى انفجار العنف والشعور بعدم الرضا المستمر.

III. العوائق الخارجية للتعایش الاجتماعي :

تشكل المدينة من حيث تركيبها الاجتماعي والتنظيمية نسقا عمرانيا وحضاريا وثقافيا متكاملًا تجتمع فيه كل المقومات الضرورية للإقامة والحياة وتحصيل الحاجات والمنافع وتشكيل العلاقات والاستفادة من الحماية التي يكفلها القانون. والمدينة بذلك تعتبر مركزا لاتخاذ القرارات التنظيمية أو سن القوانين والسهر على تطبيقها وإلزام الأفراد باحترامها ومعاقبة الخارجين عنها. فهي مصدر السلطة والقهر، وإدارة أحوال السكان، وهي رمز للسيادة والقوة، وهي فوق ذلك كله المجال الأكثر عرضة للصراعات والتزاعات، والثورات أو الحروب، باعتبارها عصب القوة أو الضعف للنظام الاجتماعي ككل.

إنطلاقًا من هذه الخاصية المميزة للمدينة فإنها معرضة باستمرار إلى الشد والجذب داخليا وهي من ناحية أخرى هدف لأي خطر قد يأتيها من خارج أسوارها أو محيطها أو أبواها فيغير وجه الحياة فيها ويحول سكوتها وطمأنيتها إلى رعب وقتل واضطهاد ودمار. ولعل غزو المدينة واحتلالها هو أعنف أشكال الاتصال على الإطلاق وعلى مر العصور والتاريخ لأنه يُغيّب تعایش أهلها أو يقضي عليه ثامًا، وقد يتغير وجه المدينة أيضًا، فتزول قيم أو تتراجع وتظهر قيم أخرى، وتضعف علاقات اجتماعية وتقوم أخرى بقيم جديدة أو دخيلة أو منقوصة المعالم ويغيب العدل ويستغل القوي الضعيف، وتُسلب الحريات وتُضم الحقوق ويعم الظلم ويفرضُ الغالب سلطته وقوانينه وقهره على المغلوب. وبذلك يترى الحقد والكراهة والتعصب وينتشر العنف، وتنمو رغبة المغلوب في الانتقام. حتى إذا تحرّرت المدينة من البطش والاستغلال والظلم تكون حينها قد ورثت وضعًا اجتماعيًا مُتهكًا وضعفًا واحتاجت وقتًا طويلا وجهدا مضنيا وطاقت قوية عامرة بالصبر والعزم والإرادة وجامعة للشمل حاملة لمشروع مجتمع يعيد الطمأنينة المفقودة والحقوق المسلوقة والحريات المختصة، يحقق العدالة والمساواة، ويحيي القيم الاجتماعية والثقافية والإنسانية المبنية على التعاون، التضامن، التسامح، الأصالة والانفتاح. غير أن صراع المصالح وتنافس الأفراد واعتلافهم حول الزعامة والقيادة والامتيازات غالبا ما يؤدي إلى هشاشة النظام الاجتماعي وضعفه مما يعقد فعلا مسيرة التطور المرجوة، وينعكس ذلك على كافة مناحي الحياة.

ومن هنا تأتي دراسة العوائق الخارجية للتعایش عبر نموذج الاستعمار وأثره على البناء الاجتماعي للمدينة :

الاستعمار، مفهومه وأثره على التعايش الاجتماعي:

أ- مفهوم الاستعمار (Colonialism):

هناك من يُعرّف الاستعمار أو (الكولونيالية) المشتقة من كلمة (colonia) باللغة اللاتينية بأنه "ظاهرة تهدف إلى سيطرة دولة قوية على دولة ضعيفة وبسط نفوذها من أجل استغلال خيراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهي بالتالي مُحبّ وسلبٌ مُنظَّم لثروات البلاد المستعمرة، فضلاً عن تحطيم كرامة شعب تلك البلاد وتدمير تراثها الحضاري والثقافي وفرض ثقافة الاستعمار على أنها الثقافة الوحيدة القادرة على نقل البلاد المستعمرة إلى مرحلة الحضارة". (61)

- الاستعمار : هو شكل من أشكال الاتصال يعتمد أسلوب العنف في عملية الاتصال بالآخر يتمثل في العدوان والقهر والقتل والإخضاع لإرادة الجهة المستعمرة، تُستعمل فيه كل الأساليب اللغوية والرمزية الممكنة (السلاح والقتل - اللغة اللفظية وغير اللفظية - التعنيف والترهيب والتخويف - التعذيب والاضطهاد - التخريب والتدمير - النهب والسرقه... الخ) غرضه فرض السيطرة والخضوع وبسط النفوذ على الطرف المغلوب، للتمكن من تحقيق أهدافه التي خطط لها كاستغلال الثروة والاستحواذ على كل مناحي الحياة، أو القضاء على النظام واستخلافه بنظام جديد غالباً ما يتشكل أعضاؤه من فئات المستعمر، يقمع الحريات المحلية و يفسد الحياة الثقافية ويُلزم المغلوب على الطاعة والخضوع، ويمكن الغالب من تجسيد مشاريعه الاجتماعية الخطيرة التي يحملها مخططه الاستعماري والاستيطاني. ويحمل مفهوم الاستعمار دلالات تناقض كل المفاهيم الإنسانية السليمة؛ فهو ضد الحرية و الكرامة والأخلاق والقيم، ولا يعترف بالعدل والحقوق و قوانينه ظالمة وجائرة، ينشر الفساد ويتميز بالعنصرية والكره والحقد والتعصب، ولا يمكن التعايش معه أو خلال وجوده. لهذا فهو ضد التعايش.

ب- أثر الاستعمار على التعايش الاجتماعي :

تعددت أشكال الاستعمار وذرائعه العدوانية وصوره التي سعى من خلالها إلى تغطية أغراضه التوسعية على حساب حرية وسيادة الشعوب المغلوبة التي وقعت تحت وطئته وسيطرته. وسواء اتخذ شكل حماية أو وصاية أو انتداب مثلما كان حال بعض الشعوب التي وقعت تحت شكل من هذه الأشكال في مراحل معينة من تاريخها، أو كان احتلالاً واستعماراً استيطانياً كحال غالبية الشعوب الإفريقية وبعض الشعوب الآسيوية، فإن أهداف الاستعمار وغاياته ونتائجه تلتقي في أثر مشترك واحد هو ؛ أن الاستعمار يحمل دلالات منافية ومناقضة تماماً للتعايش الاجتماعي، فهو مفهوم سلبى غير إنساني يصيب جميع مناحي الحياة

الإنسانية بالشلل والجمود ويكرّس الجريمة والعنف والعنصرية والتهيش، لا يقدر كرامة الآخر ولا يعترف بوجوده، بل يسعى لإلغاء الآخر تماماً بشنّ الأساليب العدوانية التي في حوزته. وتتلخص أهم آثار الاستعمار على التعايش في ما يلي :

1- العوائق الاجتماعية والثقافية : ينظر إلى غزو أرض باستعمال القوة العسكرية وانتهاك سيادتها من قبل غرباء والتصادم مع أهلها، وإجبارهم على الخضوع مكرهين باستعمال أي شكل من أشكال العنف والعدوان؛ بأنه احتلال وخرق صارخ لحقوق الإنسان لا يمكن القبول به أو التعايش معه، فهو يوجب الرفض والمقاومة والتصدي. ولذلك فإن الطرف المحتل لا يجد قبولاً اجتماعياً لدى سكان الأرض المغتصبة ظلماً، ولذلك فإنه يكرس الظلم ويتخذ أسلوباً في التعامل مع أصحاب الأرض لتحقيق مراميهِ الاستعمارية.

2- العوائق السياسية : يفهم من العوائق السياسية تلك القطيعة بين الوافد المحتل وبين السكان الأصليين للأرض في مختلف مناحي الحياة السياسية كالحرمان من المشاركة في الحكم والقرار أو الاستشارة والرأي، الانتخاب والتعيين، التسيير والإدارة، إنشاء التنظيمات السياسية والنقابية أو حق الاجتماع أو التظاهر أو التجمهر سلمياً للمطالبة بأي حق من الحقوق السياسية أو الاجتماعية... الخ. ومن مظاهر العوائق السياسية الأخرى للاستعمار :

- ضم وإخضاع نظام الحكم والسلطة إلى الحكم المباشر للمستعمر، مثلما حدث في كثير من المستعمرات (كالجزائر).

- إلغاء النظام السياسي ومظاهر الحكم الوطني للمستعمرات، وإدارتها من قبل حكام من الدول الاستعمارية وفي بعض الأحيان تعيين حكام موالين ومخاضمين للنظام الاستعماري.

- سن القوانين السياسية والقضائية والعسكرية والإدارية الخاصة بالسكان الأصليين، بما يخدم مصالح النظام الاستعماري القائم، ويقوض الحريات المدنية والسياسية للسكان.

3- العوائق الاقتصادية : وتتمثل على وجه الخصوص في حرمان سكان المجتمع المحلي من حق الانتفاع من أرضهم وثرواتهم وأعمالهم، ومنعهم من أي نشاط اقتصادي يحقق الرفاه ويُدرّ فائدة على الفرد والجماعة ويدفع بحركة التنمية ويطور الحياة الاقتصادية للسكان المحليين. وتتمظهر أشكال الحرمان الاقتصادي والتنموي في تلك الأساليب الحقيرة التي انتهجها الاستعمار في استغلال الثروة وتجويع السكان وإحداث القطيعة الاقتصادية مع المجتمع المحلي. ومن أهم تلك الأساليب؛ إقامة أنظمة اقتصادية تعتمد على الاحتكار الكلي للثروات واستنزافها بما يستجيب إلى حاجة المستعمر لتحسين الوضع الاجتماعي والاقتصادي لوطنه الأم، ولكسب مزيد من النفوذ الدولي في ظل المنافسة الشديدة على المستعمرات بين الدول المحتلة.

خاتمة : يتبين مما سبق أن الاتصال الشخصي يتدخل في مختلف العمليات الاجتماعية كلما دفعت الحاجة الإنسان إلى البحث عن منفعة معينة يريد تحصيلها، سواء من الطبيعة التي تحيط به أو بالبحث عنها عند الآخرين. غير أن اتصال الفرد بالآخرين يحتاج إلى حد أدنى من الخبرة المرجوة لكي يكون اتصاله ناجحاً وتحقيقاً لتلك المنفعة. وقد تتدخل عوامل كثيرة ذاتية وسيكولوجية واجتماعية وثقافية عند قيام الفرد باتصاله بالآخرين المختلفين عنه وخاصة إذا تعدت تلك العملية إلى الرغبة في التعارف أو إقامة علاقات جديدة. ومثلما يأمل الفرد في استجابة الآخرين لما يريده منهم؛ فكذلك يأمل الآخرون أن يحصلوا من تلك العلاقة. ويتطلب بناء العلاقات بين الأفراد والجماعات حداً أدنى من قبول الاعتراف المتبادل والإقرار بالاختلاف لتحقيق علاقات تتأسس على التعايش المبني على مفردات الاتصال الشخصي الإيجابي كالتعاون والتآلف والتضامن والتسامح، خاصة إذا علمنا أن اجتماع الأفراد في المدينة تحكمه تلك العلاقة الطردية بين الاتصال الشخصي والتعايش الاجتماعي.

الهوامش :

- (1) يوسف مصطفى القاضي : *مناهج البحوث وكتابتها*، (دار المريخ، الرياض، س.1984) ص.108.
 - (2) معجم المعاني الجامع. الرابط: <http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>
 - (3) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، (دار المعارف، ج.2، ط.2، القاهرة، س.1972) ص.ص.639، 640.
 - (4) الشناوي أحمد، وآخرون: *التثنية الاجتماعية للطفل*، (دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان س.2001)، ص. 65 .
 - (5) غنيم سيد أحمد : *سيكولوجية الشخصية*، (دار النهضة العربية، ط.1، القاهرة، س.1973) ص.26.
 - (6) غنية من الأماتذة؛ إشراف الطاهر بن حرف الله: *الوسيط في الدراسات الجامعية*، (دار هومة، ج.2، الجزائر، س.2003)، ص.10.
 - (7) محمد الطاشي : *تكنولوجيا وسائل الاتصال الجماهيري: مدخل إلى الاتصال وتقنياته*، (دار أسامة للنشر والتوزيع، ط.1، عمان-الأردن، س.2004)، ص. 38.
 - (8) صالح خليل أبو إصبع : *الاتصال والإعلام في مجتمعات المعاصرة*، (دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط.5، عمان-الأردن، س.2006)، ص. ص. 18، 19.
 - (9) فؤادة عبد المنعم البكري: *الاتصال الشخصي في عصر تكنولوجيا الاتصال*، (عالم الكتب، ط.2، القاهرة، س.2005)، ص. 33.
 - * باحثان في علم الاتصال أمريكيان اشتركا في إنجاز كتاب حول الاتصال الشخصي صدر في عدة طبعات منذ سنة 1977، عنوان الكتاب:
- « Interpersonnal communication ; roles, strategies and games ».
- (10) خليل أبو إصبع، مرجع سابق، ص. 15.
 - (11) عبد الرحيم درويش : *مقدمة إلى علم الاتصال*، (عالم الكتب، ط.1، القاهرة، س.2012)، ص. ص. 87، 88.
 - (12) السيد عبد الحميد عطية : *الاتصال، اتجاهات نظرية وأسس تطبيقية في الخدمة الاجتماعية*، (المكتب الجامعي الحديث)، دار الكتب الوثائقية القومية، الإسكندرية، س.2012)، ص. 30.
 - (13) المرجع نفسه، ص. ص.32، 33.
 - (14) ستون ماكبرايد : *أصوات متعددة وعالم واحد*، (البونسكو، س.1981)، ص. 27.
 - (15) حسن الصفار : *التواصل الاجتماعي*، (المقال منشور بتاريخ 2008/4/26)، الرابط: www.saffar.org
 - (16) الجاحظ، تحقيق عبد السلام عماد هارون: *كتاب الحيوان*، (بدون دار نشر، ج.1، ط.1 س.1964)، ص.ص.43-44

17) محمد حسين الطباطبائي : *الميزان في تفسير القرآن*، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ج 2 ط 1، بيروت، س. 1997)، ص. 118.

18) نفس المرجع، ص. 119.

19) الفيروز آبادي : *القاموس المحيط*، (مؤسسة الرسالة، ج 2، ط 8، بيروت - لبنان س. 2005)، ص. 280.

20) الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المحزومي وإبراهيم السامرائي: *العين* (مؤسسة دار الحجر، ج 2، ط 2، إيران، س. 1989)، ص. 189.

21) رعد عساف التميمي: *مبدأ التعايش، أسس وأهداف*، (جامعة الصدرين للعلوم الإسلامية البصرة - العراق، بدون تاريخ نشر)، ص. 44.

22) أنطونيا تشايز ومارتا ميناو، ترجمة فؤاد السروجي: *تحليل التعايش معاً*، (الأهلية للنشر والتوزيع، ط 1، عمان - الأردن، س. 2006)، ص. 181.

23) - سلمان بن قهد العودة : *التعايش مع غير المسلمين*، (مقال منشور بتاريخ 17 أكتوبر 2009)، الرابط:

<http://www.forsanhaq.com/showthread.php?t=134006>

**** دستور (صحيفة) المدينة المنورة :** تم كتابته فور هجرة النبي محمد(ص) إلى يثرب ويعتبر أول دستور مدني في التاريخ، وقد أُلنّب فيه المؤرخون والمستشرقون على مدار التاريخ الإسلامي، واعتبر مفخرة من مفخر الحضارة الإسلامية، ومعلماً من معالم مجدها السياسي والإنساني. يهدف هذا الدستور أساساً إلى تنظيم العلاقة بين جميع طوائف وجماعات المدينة على رأسها المهاجرون والأنصار والفصائل اليهودية وغيرهم، يتصدى بمقتضاه المسلمون واليهود وجميع الفصائل لأي عدوان خارجي على المدينة. وبإبرامه وإقرار جميع الفصائل بما فيه صارت المدينة المنورة دولة وفاق وصارت جميع الحقوق الإنسانية مكفولة، كحق حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر، والمساواة والعدل.

24) - عبد العزيز بن عثمان التويجري: *الحوار من أجل التعايش*، (دار الشروق، ط 1، القاهرة، س. 1998)، ص. 76.

25) Jessica Berns, & Mari Fitzduf : Qu'est-ce que la coexistence, et pourquoi une approche complémentaire?, (Brandeis University, Waltham, Massachusetts, « Coexistence International », juillet 2007). Lien du dossier : <http://heller.brandeis.edu/coexistence/pdfs/complementary-approaches/whatiscoexfr.pdf>

26) - توفيق الطويل : *قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام*، (دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، س. 1991)، ص. 123.

27) رعد عساف التميمي، مرجع سابق، ص. 33.

28) معجم المعاني : معنى كلمة تكيف، الرابط : <http://www.almaany.com/ar/dict>

29) خالد بن سلطان بن عبدالعزيز : *"التكيف"*، (موسوعة "مقاتل من الصحراء" الإصدار <http://www.moqatel.com> 15، س. 2014). الرابط:

*** بالدوين (1861-1934) عالم نفس وفيلسوف أمريكي، واحد من أوائل المنظرين في علم النفس الوراثي. وتعد تجاربه عن المكونات الوراثية للتفكير المنطقي، وخاصة عن " النظرية الوراثية للواقع " يمكن اعتبارها بمثابة مرحلة مهمة في تاريخ هذا التخصص العلمي. وبعد بالدوين سباقا إلى تطوير علم نفس وراثي للذكاء يركز على نظرة بيولوجية. من أهم مؤلفاته؛ دليل علم النفس، التطور العقلي عند الطفل والعرق والتفسيرات الأخلاقية في النمو العقلي والاجتماعي-دراسة في علم النفس الاجتماعي، قصة العقل.

30) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب، (دار صادر، ج.9 بيروت، ص 2003)، ص 237.

31) محمد الطباطبائي، مرجع سابق، ص. 326.

32) رعد عساف التميمي، مرجع سابق، ص.49.

33) عبد العزيز التويجري، مرجع سابق، ص. 13.

34) عبد العزيز التويجري، مرجع سابق ، ص. 17.

35) عمر البوريي : التسامح ونبذ العنف والتعصب، (مقال نشر على الموقع الالكتروني "مركز الدين والسياسة" بتاريخ 2011/08/15)، الرابط: <http://www.rpcst.com/articles.php?action=show&id=1235>

36) جودت هوشيار: ثقافة التسامح والتعايش ضرورة إنسانية ووطنية،(مقال نشر بتاريخ 2015/03/18 على موقع "XENDAN")، الرابط:

<http://www.xendan.org/arabic/drejaWtarA.aspx?NusarID=1&Jmara=196>

37) عساف التميمي، مرجع سابق، ص.ص.59-61. بتصرف.

38) عبد العزيز التويجري، مرجع سابق، ص.17.

39) ابن منظور، مرجع سابق، ج.2، ص.512.

40) الفراهيدي، مرجع سابق، ج.3، ص.122.

41) صالح بريك : الكره أو اللاتسامح مع الآخر؛ منظور نفسي-اجتماعي، (خطوات للنشر والتوزيع، ط.1، دمشق.س.2010)، ص.9.

42) صالح بريك، المرجع نفسه، ص. 20.

43) المرجع نفسه، ص.22.

44) صلاح عريبي عباس: عقبات في طريق التعايش السلمي، (دراسة نشرت بموقع "النور"، بتاريخ 2013/07/16). الرابط: <http://alnoor.se/article.asp?id=208518>

45) محمد عاهد الجابري: فكر ابن خلدون ؛ العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي،(دار الطليعة ط.3، بيروت، س.1982)، ص.251.

56) عبد العزيز قباني: العصبية بنية المجتمع العربي، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، س. 1997) ، ص.51.

- 47) Gordon W. Allport: The Nature of Prejudice, (Perseus Books, 3rd edition, USA,1979), P.6
- 48) Rupert Brown: Prejudice; its Social Psychology, (Blackwell, 2nd published Oxford UK & Cambridge USA, 1996),P.6.
- (49) معن خليل عمر: معجم علم الاجتماع المعاصر، (دار الشروق، رام الله، فلسطين، س.2000)، ص.354.
- (50) حسنين توفيق إبراهيم: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، (مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، بيروت، س.1992)، ص.41.
- (51) فرج عبد القادر طه: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، (دار الغريب، ط. 2 القاهرة، س.2004)، ص.587.
- **** شتراوس (1908-2009): عالم اجتماع فرنسي، متعدد التوجهات العلمية، فهو فيلسوف وسياسي، ومهتم بوصف الأعراق البشرية، اللغويات وهو من رواد البيئية المعاصرين، ويعدُّ سباقاً إلى استخدام المنهج البيئي في كافة المجالات وخاصة في الإثروبولوجيا. من مؤلفاته: البنى الأولية للقرابة، العرق والتاريخ، الأثروبولوجيا البيئية والطوطمية اليوم.
- (52) جليل وديع شكور: العنف والجريمة، (الدار العربية للعلوم، ط.1، بيروت- لبنان، س.1997)، ص.32.
- (53) علي أسعد وطفة : عقلنة العنف؛ البعد الأخلاقي والإنساني، (دراسة تربوية نشرت على موقع "المستشار" بدون تاريخ)، الرابط:
- http://www.almostshar.com/web/Subject_Desc.php?Subject_Id=3753&Cat_Subject_Id=36&Cat_Id=3
- (54) المرجع نفسه، الرابط نفسه.
- (55) عياد أحمد: السلطة الأبوية والعنف الأسري، (مجلة الملتقى الوطني حول العنف والشفافة في الجرائر: أي علاقة؟ تلسمان، ديسمبر 2003)، ص.86.
- (56) القرآن الكريم : سورة النحل، الآية. 125.
- (57) ابن شرف النووي: رياض الصالحين، (دار المشاريع، ط.2، بيروت- لبنان، س.2006) ص.257.
- (58) محمد خضر مختار: الاغتراب والتطرف نحو العنف، (دار غريب للطباعة، القاهرة س.1999)، ص.82.
- (59) جليل وديع شكور: العنف والجريمة، (الدار العربية للعلوم، ط. 1، بيروت- لبنان س.1997)، ص.32.
- (60) محمد خضر مختار، مرجع سابق، ص.81.
- (61) مأخوذ من "ملتقى الجامعات السعودية : انشازورة الخامسة: الاستعمار، (ملف بدون تاريخ نشر، موقع "ملتقى طلاب جامعة فيصل وجامعة الدمام)، الرابط:
- <http://www.ckfu.org/vb>